ترجمة شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب للشيخ عبد العزيز بن باز[١]

الحمد لله رب العالمين، وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ عبده ورسوله وخيرته من خلقه سيدنا وإمامنا محمد بن عبد الله، وعلىٰ آله وأصحابه ومن والاه.

أما بعد:

أيها الإخوان الفضلاء، أيها الأبناء الأعزاء، هذه المحاضرة الموجزة أتقدم بها بين أيديكم تنويرًا للأفكار، وإيضاحًا للحقائق، ونصحًا لله ولعباده وأداءً لبعض ما يجب عليَّ من الحق نحو المحاضر عنه؛ وهذه المحاضرة عنوانها: $الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب؛ دعوته وسيرته#.

لما كان الحديث عن المصلحين، والدعاة والمجددين، والتذكير بأحوالهم وخصالهم الحميدة، وأعمالهم المجيدة، وشرح سيرتهم التي دلت علىٰ إخلاصهم، وعلىٰ صدقهم في دعوتهم وإصلاحهم.

وأعمالهم وسيرتهم؛ مما تشتاق إليه النفوس الطيبة، وترتاح له القلوب، ويود سماعه كل غيور علىٰ الدين، وكل راغب في الإصلاح، والدعوة إلىٰ سبيل الحق، رأيت أن أتحدث إليكم عن رجل عظيم ومصلح كبير وداعية غيور، ألا

---

(١) محاضرة ألقاها فضيلة الشيخ عبد العزيز بن باز : بعنوان:
$الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب؛ دعوته وسيرته#

وهو الشيخ الإمام المجدد للإسلام في الجزيرة العربية في القرن الثاني عشر من الهجرة النبوية.

هو: الإمام محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي التميمي الحنبلي النجدي، لقد عرف الناس هذا الإمام ولاسيما علماؤهم ورؤساؤهم وكبراؤهم وأعيانهم في الجزيرة العربية وفي خارجها، ولقد كتب الناس عنه كتابات كثيرة ما بين موجز وما بين مطول.

ولقد أفرده كثير من الناس بكتابات حتىٰ المستشرقون كتبوا عنه كتابات كثيرة، وكتب عنه آخرون في أثناء كتاباتهم عن المصلحين وفي أثناء كتاباتهم في التاريخ، وصفه المنصفون منهم بأنه مصلح عظيم، وبأنه مجدد للإسلام، وبأنه علىٰ هدىٰ ونور من ربه، وتعدادهم يشق كثيرًا.

من جملتهم المؤلف الكبير أبو بكر الشيخ حسين بن غنام الأحسائي.

فقد كتب عن هذا الشيخ، فأجاد وأفاد وذكر دعوته، وذكر سيرته وذكر غزواته، وأطنب في ذلك وكتب كثيرًا من رسائله واستنباطاته من كتاب اللهT.

ومنهم الشيخ الإمام عثمان بن بشر في كتابه عنوان المجد، فقد كتب عن هذا الشيخ، وعن دعوته وعن سيرته، وعن تاريخ حياته، وعن غزواته وجهاده.

ومنهم خارج الجزيرة الدكتور أحمد أمين في كتابه زعماء الإصلاح، فقد كتب عنه وأنصفه.

ومنهم الشيخ الكبير مسعود عالم الندوي، فقد كتب عنه وسماه المصلح المظلوم وكتب عن سيرته وأجاد في ذلك.

وكتب عنه أيضا آخرون، منهم الشيخ الكبير الأمير محمد بن إسماعيل الصنعاني.

فقد كان في زمانه وقد كان علىٰ دعوته، فلما بلغه دعوة الشيخ سُرَّ بها وحمد الله عليها.

وكذلك كتب عنه العلامة الكبير الشيخ محمد بن علي الشوكاني صاحب نيل الأوطار ورثاه بمرثية عظيمة، وكتب عنه جمع غفير غير هؤلاء يعرفهم القراء والعلماء.

ولأجل كون كثير من الناس قد يخفىٰ عليه حال هذا الإمام وسيرته ودعوته رأيت أن أساهم في بيان حاله وما كان عليه من سيرة حسنة، ودعوة صالحة، وجهاد صادق وأن أشرح قليلاً مما أعرفه عن هذا الإمام حتىٰ يتبصر في أمره من كان عنده شيء من لبس، أو شيء من شك في حاله ودعوته، وما كان عليه.

ولد هذا الإمام في عام ١١١٥ هجرية؛ هذا هو المشهور في مولده -رحمة الله عليه-، وقيل في عام ١١١١ هجرية، والمعروف الأول أنه ولد في عام ١١١٥ هجرية -علىٰ صاحبها أفضل الصلاة وأكمل التحية-.

وتعلم علىٰ أبيه في بلدة العيينة، وهذه البلدة هي مسقط رأسه -رحمة الله عليه- وهي قرية معلومة في اليمامة في نجد شمال غرب مدينة الرياض بينها وبين الرياض مسيرة سبعين كيلو مترًا تقريبًا، أو ما يقارب ذلك من جهة الغرب.

ولد فيها -رحمة الله عليه- ونشأ نشأة صالحة، وقرأ القرآن مبكرًا، واجتهد في الدراسة، والتفقه علىٰ أبيه الشيخ عبد الوهاب بن سليمان -وكان فقيهًا كبيرًا وعالمًا قديرًا، وكان قاضيًا في بلدة العيينة- ثم بعد بلوغ الحلم حج وقصد بيت الله الحرام وأخذ عن بعض علماء الحرم الشريف.

ثم توجه إلىٰ المدينة -علىٰ ساكنها أفضل الصلاة والسلام-، فاجتمع بعلمائها، وأقام فيها مدة، وأخذ من عالمين كبيرين مشهورين في المدينة ذلك الوقت.

وهما: الشيخ عبد الله بن إبراهيم بن سيف النجدي، أصله من المجمعة، وهو والد الشيخ إبراهيم بن عبد الله صاحب العذب الفائض في علم الفرائض، وأخذ أيضًا عن الشيخ الكبير محمد حياة السندي بالمدينة.

هذان العالمان ممن اشتهر أخذ الشيخ عنهما بالمدينة، ولعله أخذ عن غيرهما ممن لا نعرف.

ورحل الشيخ لطلب العلم إلىٰ العراق فقصد البصرة واجتمع بعلمائها، وأخذ عنهم ما شاء الله من العلم.

وأظهر الدعوة هناك إلىٰ توحيد الله ودعا الناس إلىٰ السنة، وأظهر للناس أن الواجب علىٰ جميع المسلمين أن يأخذوا دينهم عن كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، وناقش وذاكر في ذلك، وناظر هنالك من العلماء، واشتهر من مشايخه هناك شخص يقال له الشيخ محمد المجموعي.

وقد ثار عليه بعض علماء السوء بالبصرة وحصل عليه وعلىٰ شيخه المذكور بعض الأذىٰ، فخرج من أجل ذلك وكان من نيته أن يقصد الشام فلم يقدر علىٰ ذلك لعدم وجود النفقة الكافية، فخرج من البصرة إلىٰ الزبير وتوجه من الزبير إلىٰ الأحساء واجتمع بعلمائها وذاكرهم في أشياء من أصول الدين ثم توجه إلىٰ بلاد حريملاء وذلك -والله أعلم- في العقد الخامس من القرن الثاني عشر لأن أباه كان قاضيًا في العيينة، وصار بينه وبين أميرها نزاع فانتقل عنها إلىٰ حريملاء سنة ١١٣٩ هجرية.

فقدم الشيخ محمد علىٰ أبيه في حريملاء بعد انتقاله إليها سنة ١١٣٩ هجرية؛ فيكون قدومه حريملاء في عام ١٤٠ أو بعدها، واستقر هناك ولم يزل مشتغلاً بالعلم والتعليم والدعوة في حريملاء حتىٰ مات والده في عام ١١٥٣ هجرية،

فحصل من بعض أهل حريملاء شر عليه، وهَمَّ بعض السفلة بها أن يفتك به.

وقيل: إن بعضهم تسور عليه الجدار فعلم بهم بعض الناس فهربوا، وبعد ذلك ارتحل الشيخ إلىٰ العيينة -رحمة الله عليه-، وأسباب غضب هؤلاء السفلة عليه أنه كان آمرًا بالمعروف ناهيًا عن المنكر.

وكان يحث الأمراء علىٰ تعزير المجرمين الذين يعتدون علىٰ الناس بالسلب والنهب والإيذاء، ومن جملتهم هؤلاء السفلة الذين يقال لهم العبيد هناك، ولما عرفوا من الشيخ أنه ضدهم وأنه لا يرضىٰ بأفعالهم، وأنه يحرض الأمراء علىٰ عقوباتهم، والحد من شرهم غضبوا وهموا أن يفتكوا به، فصانه الله وحماه.

ثم انتقل إلىٰ بلدة العيينة وأميرها إذ ذاك عثمان بن محمد بن معمر، فنزل عليه ورحب به الأمير، وقال: قم بالدعوة إلىٰ الله ونحن معك وناصروك، وأظهر له الخير والمحبة والموافقة علىٰ ما هو عليه.

فاشتغل الشيخ بالتعليم والإرشاد والدعوة إلىٰ اللهT وتوجيه الناس إلىٰ الخير، والمحبة في الله، رجالهم ونسائهم، واشتهر أمره في العيينة وعظم صيته وجاء إليه الناس من القرىٰ المجاورة.

وفي يوم من الأيام قال الشيخ للأمير عثمان دعنا نهدم قبة زيد بن الخطاب t فإنها أسست علىٰ غير هدىٰ، وإن الله -جل وعلا- لا يرضىٰ بهذا العمل، والرسولﷺ نهىٰ عن البناء علىٰ القبور، واتخاذ المساجد عليها.

وهذه القبة فتنت الناس وغيرت العقائد، وحصل بها الشرك فيجب هدمها، فقال الأمير عثمان: لا مانع من ذلك، فقال الشيخ: إني أخشىٰ أن يثور لها أهل الجبيلة -والجبيلة قرية هناك قريبة من القبر-، فخرج عثمان ومعه جيش يبلغون ٦٠٠ مقاتل لهدم القبة، ومعهم الشيخ -رحمة الله عليه- فلما قربوا من القبة خرج أهل الجبيلة لما سمعوا بذلك لينصروها ويحموها، فلما رأوا الأمير عثمان ومن

معه كفوا ورجعوا عن ذلك، فباشر الشيخ هدمها وإزالتها فأزالها اللهT علىٰ يديه -رحمة الله عليه-.

ولنذكر نبذة عن حال نجد قبل قيام الشيخ -رحمة الله عليه-، وعن أسباب قيامه، ودعوته:

كان أهل نجد قبل دعوة الشيخ علىٰ حالة لا يرضاها مؤمن، وكان الشرك الأكبر قد نشأ في نجد وانتشر حتىٰ عُبدت القباب، وعُبدت الأشجار، والأحجار، وعُبدت الغيران، وعُبد من يدعىٰ بالولاية وهو من المعتوهين، وعُبد من دون الله أناس يدعون بالولاية، وهم مجانين مجاذيب لا عقول عندهم.

واشتهر في نجد السحرة والكهنة، وسؤالهم وتصديقهم وليس هناك منكِر إلا من شاء الله، وغلب علىٰ الناس الإقبال علىٰ الدنيا وشهواتها، وقل القائم لله والناصر لدينه وهكذا في الحرمين الشريفين، وفي اليمن اشتهر في ذلك الشرك وبناء القباب علىٰ القبور، ودعاء الأولياء والاستغاثة بهم، وفي اليمن من ذلك الشيء الكثير، وفي بلدان نجد من ذلك ما لا يحصىٰ، ما بين قبر وما بين غار، وبين شجرة وبين مجذوب، ومجنون؛ يدعىٰ من دون الله ويستغاث به مع الله.

وكذلك مما عرف في نجد واشتهر دعاء الجن والاستغاثة بهم وذبح الذبائح لهم وجعلها في الزوايا من البيوت رجاء نجدتهم، وخوف شرهم، فلما رأىٰ الشيخ الإمام هذا الشرك وظهوره في الناس وعدم وجود منكر لذلك وقائم بالدعوة إلىٰ الله في ذلك شمَّر عن ساعد الجد وصبر علىٰ الدعوة وعرف أنه لابد من جهاد، وصبر، وتحمل للأذىٰ.

فجد في التعليم والتوجيه والإرشاد وهو في العيينة، وفي مكاتبة العلماء في ذلك والمذاكرة معهم رجاء أن يقوموا معه في نصرة دين الله، والمجاهدة في هذا الشرك وهذه الخرافات.

فأجاب دعوته كثيرون من علماء نجد، وعلماء الحرمين، وعلماء اليمن، وغيرهم وكتبوا إليه بالموافقة، وخالف آخرون وعابوا ما دعا إليه وذموه ونفروا عنه وهم بين أمرين، ما بين جاهل خرافي لا يعرف دين الله ولا يعرف توحيد الله، وإنما يعرف ما هو عليه وآباؤه وأجداده من الجهل، والضلال، والشرك، والبدع، والخرافات، كما قال الله -جل وعلا- عن أمثال أولئك:﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم 5 ﴾ [الزخرف:٢٣].

وطائفة أخرىٰ ممن ينسبون إلىٰ العلم ردوا عليه عنادًا وحسدًا لئلا يقول العامة: ما بالكم لم تنكروا علينا هذا الشيء؟! لماذا جاء ابن عبد الوهاب وصار علىٰ الحق وأنتم علماء ولم تنكروا هذا الباطل؟!

فحسدوه وخجلوا من العامة، وأظهروا العناد للحق إيثارًا للعاجل علىٰ الآجل، واقتداء باليهود في إيثارهم الدنيا علىٰ الآخرة، نسأل الله العافية والسلامة.

أما الشيخ فقد صبر وجد في الدعوة وشجعه من شجعه من العلماء والأعيان في داخل الجزيرة، وفي خارجها، وعزم علىٰ ذلك، واستعان بربه وعكف علىٰ الكتب النافعة ودرسها وعكف قبل ذلك علىٰ كتاب الله، وكانت له اليد الطولىٰ في تفسير كتاب الله، والاستنباط منه، وعكف علىٰ سيرة الرسول ﷺ وسيرة أصحابه، وجد في ذلك وتبصر فيه حتىٰ أدرك من ذلك ما أعانه الله به وثبته علىٰ الحق فشمر عن ساعد الجد، وصمم علىٰ الدعوة وعلىٰ أن ينشرها بين الناس ويكاتب الأمراء والعلماء في ذلك وليكن في ذلك ما يكون، فحقق الله له الآمال الطيبة، ونشر به الدعوة، وأيد به الحق، وهيأ الله له أنصارًا ومساعدين وأعوانًا حتىٰ ظهر دين الله وعلت كلمة الله.

فاستمر الشيخ في الدعوة في العيينة بالتعليم والإرشاد، ثم شمر عن ساعد الجد إلىٰ العمل وإزالة الشرك بالفعل لما رأىٰ الدعوة لم تؤثر في بعض الناس

فباشر الدعوة عمليًّا ليزيل بيده ما تيسر وما أمكن من آثار الشرك.

فقال الشيخ للأمير عثمان بن معمر: لابد من هدم هذه القبة التي علىٰ قبر زيد -وزيد بن الخطاب t - هو أخو عمر بن الخطاب أمير المؤمنين -رضي الله تعالىٰ عن الجميع-.

وكان من جملة الشهداء في قتال مسيلمة الكذاب في عام ١٢ من الهجرة النبوية، فكان ممن قتل هناك وبني علىٰ قبره قبة فيما يذكرون، وقد يكون قبر غيره، لكنه فيما يذكرون أنه قبره؛ فوافقه عثمان كما تقدم، وهدمت القبة -بحمد الله- وزال أثرها إلىٰ اليوم -ولله الحمد والمنة-، أماتها -جل وعلا- لما هدمت عن نية صالحة، وقصد مستقيم ونصر للحق.

وهناك قبور أخرىٰ منها قبر يقال: إنه قبر ضرار بن الأزور؛ كانت عليه قبة هدمت أيضًا، وهناك مشاهد أخرىٰ أزالها الله وكانت هناك غيران وأشجار تعبد من دون الله -جل وعلا- فأزيلت وقضي عليها وحذر الناس عنها.

والمقصود: أن الشيخ استمر -رحمة الله عليه علىٰ الدعوة قولاً وعملاً كما تقدم، ثم إن الشيخ أتته امرأة واعترفت عنده بالزنا عدة مرات، وسأل عن عقلها فقيل إنها عاقلة ولا بأس بها، فلما صممت علىٰ الاعتراف، ولم ترجع عن اعترافها، ولم تدع إكراهًا ولا شبهة وكانت محصنة؛ أمر الشيخ -رحمة الله عليه- بأن ترجم فرجمت بأمره حالة كونه قاضيًا بالعيينة.

فاشتهر أمره بعد ذلك بهدم القبة وبرجم المرأة وبالدعوة العظيمة إلىٰ الله وهجرة المهاجرين إلىٰ العيينة، وبلغ أمير الأحساء وتوابعها من بني خالد سليمان بن عريعر الخالدي أمر الشيخ، وأنه يدعو إلىٰ الله، وأنه يهدم القباب، وأنه يقيم الحدود، فعظم علىٰ هذا البدوي أمر الشيخ؛ لأن من عادة البادية -إلا من هدىٰ الله- الإقدام علىٰ الظلم، وسفك الدماء، ونهب الأموال، وانتهاك الحرمات،

فخاف أنَّ هذا الشيخ يعظم أمره ويزيل سلطان الأمير البدوي، فكتب إلىٰ عثمان يتوعده ويأمره أن يقتل هذا المطوع الذي عنده في العيينة.

وقال: إن المطوع الذي عندكم بلغنا عنه كذا، وكذا!! فإما أن تقتله، وإما أن نقطع عنك خراجك الذي عندنا!! -وكان عنده للأمير عثمان خراج من الذهب-، فعظم علىٰ عثمان أمر هذا الأمير، وخاف إن عصاه أن يقطع عنه خراجه أو يحاربه.

فقال للشيخ: إن هذا الأمير كتب إلينا كذا وكذا وأنه لا يحسن منا أن نقتلك، وإنا نخاف هذا الأمير ولا نستطيع محاربته، فإذا رأيت أن تخرج عنا فعلت؟

فقال له الشيخ: إن الذي أدعو إليه هو دين الله وتحقيق كلمة لا إله إلا الله، وتحقيق شهادة أن محمدًا رسول الله، فمن تمسك بهذا الدين ونصره وصدق في ذلك؛ نصره الله وأيده وولاه علىٰ بلاد أعدائه، فإن صبرت واستقمت وقبلت هذا الخير فأبشر فسينصرك الله ويحميك من هذا البدوي وغيره، وسوف يوليك الله بلاده وعشيرته.

فقال: أيها الشيخ إنا لا نستطيع محاربته، ولا صبر لنا علىٰ مخالفته، فخرج الشيخ عند ذلك وتحول من العيينة إلىٰ بلاد الدرعية، جاء إليها ماشيًا فيما ذكروا حتىٰ وصل إليها في آخر النهار.

وقد خرج من العيينة في أول النهار ماشيًا علىٰ الأقدام لم يرحله عثمان، فدخل علىٰ شخص من خيارها في أعلىٰ البلد يقال له محمد بن سويلم العريني فنزل عليه، ويقال إن هذا الرجل خاف من نزوله عليه وضاقت به الأرض بما رحبت، وخاف من أمير الدرعية محمد بن سعود فطمأنه الشيخ وقال له: أبشر بخير، وهذا الذي أدعو الناس إليه دين الله، وسوف يظهره الله.

فبلغ محمد بن سعود خبر الشيخ محمد، ويقال إن الذي أخبره به زوجته جاء إليها بعض الصالحين وقال لها أخبري محمدًا بهذا الرجل، وشجعيه علىٰ قبول دعوته وحرضيه علىٰ مؤازرته ومساعدته، وكانت امرأة صالحة طيبة، فلما دخل عليها محمد بن مسعود أمير الدرعية وملحقاتها قالت له: أبشر بهذه الغنيمة العظيمة! هذه غنيمة ساقها الله إليك، رجل داعية يدعو إلىٰ دين الله، ويدعو إلىٰ كتاب الله، يدعو إلىٰ سنة رسول اللهﷺ يا لها من غنيمة! بادر بقبوله وبادر بنصرته، ولا تقف في ذلك أبدًا، فقبل الأمير مشورتها، ثم تردد هل يذهب إليه أو يدعوه إليه؟! فأشير عليه.

ويقال: إن المرأة أيضًا هي التي أشارت عليه مع جماعة من الصالحين وقالوا له: لا ينبغي أن تدعوه إليك، بل ينبغي أن تقصده في منزله، وأن تقصده أنت وأن تعظم العلم والداعي إلىٰ الخير، فأجاب إلىٰ ذلك لما كتب الله له من السعادة والخير

-رحمة الله عليه وأكرم الله مثواه-.

فذهب إلىٰ الشيخ في بيت محمد بن سويلم، وقصده وسلم عليه وتحدث معه، وقال له: يا شيخ محمد أبشر بالنصرة وأبشر بالأمن وأبشر بالمساعدة.

فقال له الشيخ: وأنت أبشر بالنصرة أيضًا والتمكين والعاقبة الحميدة، هذا دين الله من نصره؛ نصره الله، ومن أيده؛ أيده الله، وسوف تجد آثار ذلك سريعًا.

فقال: يا شيخ سأبايعك علىٰ دين الله ورسوله وعلىٰ الجهاد في سبيل الله، ولكنني أخشىٰ إذا أيدناك ونصرناك وأظهرك الله علىٰ أعداء الإسلام، أن تبتغي غير أرضنا، وأن تنتقل عنا إلىٰ أرض أخرىٰ فقال: لا أبايعك علىٰ هذا... أبايعك علىٰ أن الدم بالدم والهدم بالهدم، لا أخرج من بلادك أبدًا، فبايعه علىٰ النصرة وعلىٰ

البقاء في البلد وأنه يبقىٰ عند الأمير يساعده، ويجاهد معه في سبيل الله حتىٰ يظهر دين الله، وتمت البيعة علىٰ ذلك.

وتوافد الناس إلىٰ الدرعية من كل مكان، من العيينة، وعرقة، ومنفوحة، والرياض وغير ذلك من البلدان المجاورة، ولم تزل الدرعية موضع هجرة يهاجر إليها الناس من كل مكان، وتسامع الناس بأخبار الشيخ، ودروسه في الدرعية ودعوته إلىٰ الله وإرشاده إليه، فأتوا زرافاتٍ ووحدانًا.

فأقام الشيخ بالدرعية معظَّمًا مؤيَّدًا محبوبًا منصورًا، ورتب الدروس في الدرعية في العقائد، وفي القرآن الكريم، وفي التفسير، وفي الفقه، وأصوله، والحديث، ومصطلحه، والعلوم العربية، والتاريخية، وغير ذلك من العلوم النافعة.

وتوافد الناس عليه من كل مكان، وتعلم الناس عليه في الدرعية؛ الشباب وغيرهم، ورتب للناس دروسًا كثيرة للعامة، والخاصة، ونشر العلم في الدرعية واستمر علىٰ الدعوة.

ثم بدأ بالجهاد وكاتب الناس إلىٰ الدخول في هذا الميدان وإزالة الشرك الذي في بلادهم، وبدأ بأهل نجد، وكاتَبَ أمراءها وعلماءها.

كاتب علماء الرياض وأميرها دهام بن دواس، كاتب علماء الخرج وأمراءها، وعلماء بلاد الجنوب والقصيم وحائل والوشم وسدير وغير ذلك، ولم يزل يكاتبهم ويكاتب علماءهم وأمراءهم، وهكذا علماء الأحساء وعلماء الحرمين الشريفين، وهكذا علماء الخارج في مصر، والشام، والعراق، والهند، واليمن وغير ذلك.

ولم يزل يكاتب الناس ويقيم الحجج ويذكر الناس ما وقع فيه أكثر الخلق من الشرك والبدع، وليس معنىٰ هذا أنه ليس هناك أنصار للدين، بل هناك أنصار، والله

-جل وعلا- قد ضمن لهذا الدين أن لابد له من ناصر، ولا تزال طائفة في هذه الأمة علىٰ الحق منصورة كما قال النبي -عليه الصلاة والسلام-، فهناك أنصار للحق في أقطار كثيرة.

ولكن الحديث الآن عن نجد، فكان فيها من الشر والفساد والشرك والخرافات ما لا يحصيه إلا الله ﷻ، مع أن فيها علماء فيهم خير، ولكن لم يقدر لهم أن ينشطوا في الدعوة وأن يقوموا بها كما ينبغي، وهناك أيضًا في اليمن وغير اليمن دعاة إلىٰ الحق وأنصار قد عرفوا هذا الشرك وهذه الخرافات، ولكن لم يقدر الله لدعوتهم من النجاح ما قدر لدعوة الشيخ محمد لأسباب كثيرة:

منها: عدم تيسر الناصر المساعد لهم.

ومنها: عدم الصبر لكثير من الدعاة وتحمل الأذىٰ في سبيل الله.

ومنها: قلة علوم بعض الدعاة التي يستطيع بها أن يوجه الناس بالأساليب المناسبة، والعبارات اللائقة، والحكمة والموعظة الحسنة.

ومنها: أسباب أخرىٰ غير هذه الأسباب، وبسبب هذه المكاتبات الكثيرة والرسائل والجهاد اشتهر أمر الشيخ، وظهر أمر الدعوة، واتصلت رسائله بالعلماء في داخل الجزيرة، وفي خارجها.

وتأثر بدعوته جمع غفير من الناس في الهند وفي إندونيسيا، وفي أفغانستان، وفي إفريقيا وفي المغرب، وهكذا في مصر، والشام، والعراق، وكان هناك دعاة كثيرون عندهم معرفة بالحق والدعوة إليه فلما بلغتهم دعوة الشيخ زاد نشاطهم، وزادت قوتهم واشتهروا بالدعوة.

ولم تزل دعوة الشيخ تشتهر وتظهر بين العالم الإسلامي وغيره، ثم في هذا العصر الأخير طبعت كتبه، ورسائله، وكتب أبنائه، وأحفاده، وأنصاره، وأعوانه من علماء المسلمين في الجزيرة وخارجها.

وكذلك طبعت الكتب المؤلفة في دعوته، وترجمته، وأحواله، وأحوال أنصاره، حتىٰ اشتهرت بين الناس في غالب الأقطار والأمصار، ومن المعلوم أن لكل نعمة حاسدًا وأن لكل داع أعداء كثيرين، قال الله تعالىٰ: ﴿ 9 : ; K J I G F E D C B A @ ? > = < Q P O M L ﴾ [الأنعام:١١٢].

فلما اشتهر الشيخ بالدعوة وكتب الكتابات الكثيرة، وألف المؤلفات القيمة، ونشرها في الناس، وكاتبه العلماء، ظهر جماعة كثيرون من حساده، ومن مخالفيه، وظهر أيضًا أعداء آخرون، وصار أعداؤه وخصومه قسمين:

قسم: عادوه باسم العلم والدين.

وقسم: عادوه باسم السياسة ولكن تستروا بالعلم، وتستروا باسم الدين، واستغلوا عداوة من عاداه من العلماء الذين أظهروا عداوته وقالوا إنه علىٰ غير الحق، وإنه كَيت وكَيت.

والشيخ -رحمة الله عليه- مستمر في الدعوة يزيل الشبه، ويوضح الدليل، ويرشد الناس إلىٰ الحقائق علىٰ ما هي عليه من كتاب الله وسنة رسولهﷺ.

وطورًا يقولون: إنه من الخوارج، وتارة يقولون: يخرق الإجماع، ويدعي الاجتهاد المطلق ولا يبالي بمن قبله من العلماء والفقهاء، وتارة يرمونه بأشياء أخرىٰ، وما ذاك إلا من قلة العلم من طائفة منهم، وطائفة أخرىٰ قلدت غيرها واعتمدت عليها، وطائفة أخرىٰ خافت علىٰ مراكزها فعادته سياسة وتسترت باسم الإسلام والدين واعتمدت علىٰ أقوال المخرفين والمضللين.

والخصوم في الحقيقة ثلاثة أقسام :

علماء مخرفون يرون الحق باطلاً والباطل حقًّا، ويعتقدون أن البناء علىٰ

القبور، واتخاذ المساجد عليها، ودعاءها من دون الله والاستغاثة بها وما أشبه ذلك دين وهدًى.

ويعتقدون أن من أنكر ذلك فقد أبغض الصالحين، وأبغض الأولياء، وهو عدو يجب جهاده.

وقسم آخر: من المنسوبين للعلم جهلوا حقيقة هذا الرجل، ولم يعرفوا عنه الحق الذي دعا إليه بل قلدوا غيرهم وصدقوا ما قيل فيه من الخرافيين المضللين، وظنوا أنهم على هدًى فيما نسبوه إليه من بغض الأولياء والأنبياء، ومن معاداتهم، وإنكار كراماتهم، فذموا الشيخ، وعابوا دعوته ونفروا عنه.

وقسم آخر: خافوا على المناصب والمراتب فعادوه لئلا تمتد أيدي أنصار الدعوة الإسلامية إليهم فتنزلهم عن مراكزهم، وتستولي على بلادهم، واستمرت الحرب الكلامية، والمجادلات والمساجلات بين الشيخ وخصومه، يكاتبهم ويكاتبونه، ويجادلهم ويرد عليهم، ويردون عليه.

وهكذا جرى بين أبنائه وأحفاده وأنصاره وبين خصوم الدعوة، حتى اجتمع من ذلك رسائل كثيرة، وردود جمة.

وقد جُمعت هذه الرسائل والفتاوى والردود فبلغت مجلدات، وقد طبع أكثرها -والحمد لله-.

واستمر الشيخ في الدعوة والجهاد وساعده الأمير محمد بن سعود أمير الدرعية، وجد الأسرة السعودية على ذلك، ورفعت راية الجهاد وبدأ الجهاد من عام ١١٥٨ هـ.

بدأ الجهاد بالسيف، وبالكلام، والبيان، والحجة، والبرهان، ثم استمرت الدعوة مع الجهاد بالسيف، ومعلوم أن الداعي إلى الله إذا لم يكن لديه قوة تنصر الحق وتنفذه فسرعان ما تخبو دعوته وتنطفي شهرته، ثم يقل أنصاره.

ومعلوم ما للسلاح والقوة من الأثر العظيم في نشر الدعوة، وقمع المعارضين ونصر الحق، وقمع الباطل، ولقد صدق الله العظيم في قوله T وهو الصادق سبحانه في كل ما يقول: ﴿ ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 : ; < = > ﴾ [الحديد:٢٥].

فبين I أنه أرسل الرسل بالبينات، وهي الحجج والبراهين الساطعة التي يوضح الله بها الحق، ويدفع بها الباطل، وأنزل مع الرسل الكتاب الذي فيه البيان، والهدىٰ والإيضاح، وأنزل معهم الميزان، وهو العدل الذي ينصف به المظلوم من الظالم، ويقام به الحق وينشر به الهدىٰ ويعامل الناس علىٰ ضوئه بالحق والقسط، وأنزل الحديد فيه بأس شديد، فيه قوة وردع وزجر لمن خالف الحق، فالحديد لمن لم تنفع فيه الحجة وتؤثر فيه البينة، فهو الملزم بالحق، وهو القامع للباطل.

ولقد أحسن من قال في مثل هذا:

وما هو إلا الوحي أو حد مرهف ... تزيل ظباه أَخْدَعَي كل مائل

فهذا دواء الداء من كل جاهل ... وهذا دواء الداء من كل عادل

فالعاقل ذو الفطرة السليمة، ينتفع بالبينة، ويقبل الحق بدليله، أما الظالم التابع لهواه فلا يردعه إلا السيف، فجد الشيخ : في الدعوة والجهاد، وساعده أنصاره من آل سعود -طيب الله ثراهم علىٰ ذلك- واستمروا في الجهاد والدعوة من عام ١١٥٨ هـ إلىٰ أن توفي الشيخ في عام ١٢٠٦هـ.

فاستمر في الجهاد والدعوة قريبًا من خمسين عامًا، جهاد، ودعوة، ونضال، وجدال في الحق، وإيضاح لما قاله الله ورسوله، ودعوة إلىٰ دين الله، وإرشاد إلىٰ ما شرعه رسول الله ﷺ.

حتىٰ التزم الناس بالطاعة، ودخلوا في دين الله، وهدموا ما عندهم من القباب، وأزالوا ما لديهم من المساجد المبنية علىٰ القبور، وحكموا الشريعة، ودانوا بها، وتركوا ما كانوا عليه من تحكيم سوالف الآباء والأجداد، وقوانينهم، ورجعوا إلىٰ الحق.

وعمرت المساجد بالصلوات، وحلقات العلم، وأديت الزكوات، وصام الناس رمضان، كما شرع الله وأمر بالمعروف، ونهي عن المنكر، وساد الأمن في الأمصار، والقرىٰ، والطرق، والبوادي، ووقف البادية عند حدهم، ودخلوا في دين الله وقبلوا الحق، ونشر الشيخ فيهم الدعوة.

وأرسل الشيخ إليهم المرشدين، والدعاة في الصحراء والبوادي، كما أرسل المعلمين، والمرشدين، والقضاة إلىٰ البلدان والقرىٰ، وعم هذا الخير العظيم والهدىٰ المستبين نجدًا كلها وانتشر فيها الحق، وظهر فيها دين الله .

ثم بعد وفاة الشيخ -رحمة الله عليه- استمر أبناؤه، وأحفاده، وتلاميذه، وأنصاره في الدعوة والجهاد.

وعلىٰ رأس أبنائه: الشيخ الإمام عبد الله بن محمد، والشيخ حسين بن محمد، والشيخ علي بن محمد، والشيخ إبراهيم بن محمد.

ومن أحفاده: الشيخ عبد الرحمن بن حسن، والشيخ علي بن حسين، والشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد، وجماعة آخرون.

ومن تلاميذه أيضًا: الشيخ حمد بن ناصر بن معمر، وجمع غفير من علماء الدرعية، وغيرهم استمروا في الدعوة والجهاد ونشر دين الله تعالىٰ وكتابة الرسائل وتأليف المؤلفات، وجهاد أعداء الدين، وليس بين هؤلاء الدعاة وخصومهم شيء إلا أن هؤلاء دعوا إلىٰ توحيد الله وإخلاص العبادة لله والاستقامة علىٰ ذلك،

وهدم المساجد والقباب التي علىٰ القبور، ودعوا إلىٰ تحكيم الشريعة والاستقامة عليها ودعوا إلىٰ الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وإقامة الحدود الشرعية.

هذه أسباب النزاع بينهم وبين الناس.

والخلاصة: أنهم أرشدوا الناس إلىٰ توحيد الله، وأمروهم بذلك وحذروا الناس من الشرك بالله ومن وسائله وذرائعه، وألزموا الناس بالشريعة الإسلامية، ومن أبىٰ واستمر علىٰ الشرك بعد الدعوة والبيان، والإيضاح والحجة، جاهدوه في الله وقصدوه في بلاده حتىٰ يخضع للحق، وينيب إليه أو يلزموه به بالقوة والسيف، حتىٰ يخضع هو وأهل بلده إلىٰ ذلك.

وكذلك حذروا الناس من البدع والخرافات، التي ما أنزل الله بها من سلطان، كالبناء علىٰ القبور، واتخاذ القباب عليها والتحاكم إلىٰ الطواغيت، وسؤال السحرة والكهنة، وتصديقهم وغير ذلك، فأزال الله ذلك علىٰ يدي الشيخ وأنصاره -رحمة الله عليهم جميعًا-.

وعمرت المساجد بتدريس الكتاب العظيم والسنة المطهرة، والتاريخ الإسلامي، والعلوم العربية النافعة، وصار الناس في مذاكرة، وعلم، وهدىٰ، ودعوة، وإرشاد، وآخرون منهم فيما يتعلق بدنياهم من الزراعة والصناعة وغير ذلك، علم وعمل، ودعوة وإرشاد، ودنيا ودين فهو يتعلم ويذاكر، ومع ذلك يعمل في حقله الزراعي، أو في صناعته أو تجارته وغير ذلك، فتارة لدينه، وتارة لدنياه: دعاة إلىٰ الله ومُوَجِّهُون إلىٰ سبيله ومع ذلك يشتغلون بأنواع الصناعة الرائجة في بلادهم، ويحصلون من ذلك علىٰ ما يغنيهم عن خارج بلادهم.

وبعد فراغ الدعاة وآل سعود من نجد امتدت دعوتهم إلىٰ الحرمين، وجنوب الجزيرة، كاتبوا علماء الحرمين سابقًا، ولاحقًا.

فَلَمَّا لَمْ تُجْدِ الدَّعوة واستمر أهل الحرمين علىٰ ما هم عليه من تعظيم القباب، واتخاذها علىٰ القبور، ووجود الشرك عندها، والسؤال لأربابها؛ سار الإمام سعود بن عبد العزيز بن محمد بعد وفاة الشيخ بإحدىٰ عشرة سنة متوجهًا إلىٰ الحجاز، ونازل أهل الطائف ثم قصد أهل مكة -وكان أهل الطائف قد توجه إليهم قبل سعود الأمير عثمان بن عبد الرحمن المضايفي-، ونازلهم بقوة أرسلها إليه الإمام سعود بن عبد العزيز بن محمد أمير الدرعية بقوة عظيمة من أهل نجد وغيرهم، ساعدوه حتىٰ استولىٰ علىٰ الطائف، وأخرج منها أمراء الشريف، وأظهر فيه الدعوة إلىٰ الله، وأرشد إلىٰ الحق، ونهىٰ فيها عن الشرك، وعبادة ابن عباس، وغيره مما كان يعبده هناك الجهال، والسفهاء من أهل الطائف.

ثم توجه الأمير سعود عن أمر أبيه عبد العزيز إلىٰ جهة الحجاز، وجمعت الجيوش حول مكة.

فلما عرف شريفها أنه لابد من التسليم أو الفرار فر إلىٰ جدة، ودخل سعود ومن معه من المسلمين البلاد من غير قتال واستولوا علىٰ مكة في فجر ا من شهر محرم من عام ١٢١٨هـ وأظهروا فيها الدعوة إلىٰ دين الله، وهدموا ما فيها من القباب التي بنيت علىٰ قبر خديجة وغيره، فأزالوا القباب كلها، وأظهروا فيها الدعوة إلىٰ توحيد الله وعينوا فيها العلماء والمدرسين، والموجهين والمرشدين، والقضاة الحاكمين بالشريعة.

ثم بعد مدة وجيزة فتحت المدينة، واستولىٰ آل سعود علىٰ المدينة في عام ١٢٢٠هـ بعد مكة بنحو سنتين، واستمر الحرمان في ولاية آل سعود، وعينوا فيها الموجهين والمرشدين، وأظهروا في البلاد العدل وتحكيم الشريعة، والإحسان إلىٰ أهلها ولاسيما فقرائهم ومحاويجهم فأحسنوا إليهم بالأموال، وواسوهم،

وعلموهم كتاب الله.

وأرشدوهم إلىٰ الخير، وعظموا العلماء، وشجعوهم علىٰ التعليم، والإرشاد ولم يزل الحرمان الشريفان تحت ولاية آل سعود إلىٰ عام ١٢٢٦هـ ثم بدأت الجيوش المصرية والتركية تتوجه إلىٰ الحجاز لقتال آل سعود وإخراجهم من الحرمين، لأسباب كثيرة تقدم بعضها.

وهذه الأسباب كما تقدم هي أن أعداءهم، وحسادهم، والمخرفين الذين ليس لهم بصيرة، وبعض السياسيين الذين أرادوا إخماد هذه الدعوة وخافوا منها أن تزيل مراكزهم، وأن تقضي علىٰ أطماعهم، كذبوا علىٰ الشيخ، وأتباعه، وأنصاره، وقالوا إنهم يبغضون الرسول ﷺ، وإنهم يبغضون الأولياء، وينكرون كراماتهم، وقالوا إنهم أيضًا يقولون كَيت وكَيت مما يزعمون أنهم ينتقصون به الرسل -عليهم الصلاة والسلام-، وصدَّق هذا بعض الجهال، وبعض المغرضين، وجعلوه سلمًا للنيل منهم والقتال لهم، وتشجيع الأتراك والمصريين علىٰ حربهم، فجرىٰ ما جرىٰ من الفتن والقتال.

وصار القتال بين الجنود المصرية والتركية ومن معهم وبين آل سعود في نجد، والحجاز، سجالًا مدة طويلة من عام ١٢٢٦ هـ إلىٰ عام ١٢٣٣هـ سبع سنين كلها قتال ونضال بين قوىٰ الحق وقوىٰ الباطل.

والخلاصة: أن هذا الإمام الذي هو الشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمة الله عليه- إنما قام لإظهار دين الله، وإرشاد الناس إلىٰ توحيد الله، وإنكار ما أدخل الناس فيه من البدع والخرافات، وقام أيضًا لإلزام الناس بالحق، وزجرهم عن الباطل، وأمرهم بالمعروف، ونهيهم عن المنكر.

هذه خلاصة دعوته -رحمة الله تعالىٰ عليه-، وهو في العقيدة علىٰ طريقة

السلف الصالح يؤمن بالله وبأسمائه، وصفاته، ويؤمن بملائكته، ورسله وكتبه، وباليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره، وهو علىٰ طريقة أئمة الإسلام في توحيد الله، وإخلاص العبادة له -جل وعلا-.

في الإيمان بأسماء الله وصفاته علىٰ الوجه اللائق بالله سبحانه، لا يعطل صفات الله، ولا يشبه الله بخلقه، وفي الإيمان بالبعث، والنشور، والجزاء والحساب، والجنة والنار، وغير ذلك.

ويقول في الإيمان ما قاله السلف: إنه قول وعمل يزيد وينقص، يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية، كل هذا من عقيدته ، فهو علىٰ طريقتهم وعلىٰ عقيدتهم قولاً وعملاً، لم يخرج عن طريقتهم ألبتة، وليس له في ذلك مذهب خاص، ولا طريقة خاصة، بل هو علىٰ طريق السلف الصالح من الصحابة وأتباعهم بإحسان -رضي الله عن الجميع-.

وإنما أظهر ذلك في نجد، وما حولها ودعا إلىٰ ذلك ثم جاهد عليه من أباه وعانده، وقاتلهم، حتىٰ ظهر دين الله وانتصر الحق.

وكذلك هو علىٰ ما عليه المسلمون من الدعوة إلىٰ الله، وإنكار الباطل، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، ولكن الشيخ وأنصاره يدعون الناس إلىٰ الحق، ويلزمونهم به، وينهونهم عن الباطل، وينكرونه عليهم، ويزجرونهم عنه حتىٰ يتركوه، وكذلك جدَّ في إنكار البدع والخرافات حتىٰ أزالها الله بسبب دعوته.

فالأسباب الثلاثة المتقدمة آنفًا هي أسباب العداوة، والنزاع بينه وبين الناس وهي:

أولًا: إنكار الشرك والدعوة إلىٰ التوحيد الخالص.

ثانيًا: إنكار البدع، والخرافات، كالبناء علىٰ القبور واتخاذها مساجد ونحو

ذلك كالموالد والطرق التي أحدثتها طوائف المتصوفة.

ثالثًا: أنه يأمر الناس بالمعروف، ويلزمهم به بالقوة، فمن أبىٰ المعروف الذي أوجبه الله عليه ألزم به وعزر عليه إذا تركه، وينهىٰ الناس عن المنكرات، ويزجرهم عنها، ويقيم حدودها، ويلزم الناس بالحق، ويزجرهم عن الباطل.

وبذلك ظهر الحق، وانتشر، وكبت الباطل، وانقمع، وصار الناس في سيرة حسنة، ومنهج قويم في أسواقهم، وفي مساجدهم، وفي سائر أحوالهم، لا تعرف البدع بينهم ولا يوجد في بلادهم الشرك، ولا تظهر المنكرات بينهم، بل من شاهد بلادهم وشاهد أحوالهم وما هم عليه ذكر حال السلف الصالح وما كانوا عليه زمن النبي ﷺ، وزمن أصحابه، وزمن أتباعه بإحسان في القرون المفضلة -رحمة الله عليهم-.

فالقوم ساروا سيرتهم، ونهجوا منهجهم، وصبروا علىٰ ذلك، وجدوا فيه، وجاهدوا عليه، فلما حصل بعض التغيير في آخر الزمان بعد وفاة الشيخ محمد بمدة طويلة ووفاة كثير من أبنائه -رحمة الله عليهم- وكثير من أنصاره حصل بعض التغيير جاء الابتلاء وجاء الامتحان بالدولة التركية، والدولة المصرية، مصداق قولهT: ﴿ | { ~يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَا © أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ ۚ وَمَا لَهُم ´ µ ¶ ¸ ﴾ [الرعد:١١].

نسأل اللهT أن يجعل ما أصابهم تكفيرًا وتمحيصًا من الذنوب، ورفعة وشهادة لمن قتل منهم -رضي الله عنهم ورحمهم-.

ولم تزل دعوتهم -بحمد الله- قائمة منتشرة إلىٰ يومنا هذا فإن الجنود المصرية لما عثت في نجد، وقتلت من قتلت، وخربت ما خربت، لم يمض علىٰ ذلك إلا سنوات قليلة ثم قامت الدعوة بعد ذلك وانتشرت، ونهض بالدعوة بعد

ذلك بنحو خمس سنين الإمام تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود -رحمة الله عليه- فنشر الدعوة في نجد وما حولها، وانتشر العلماء في نجد، وأخرج من كان هناك من الأتراك والمصريين، أخرجهم من نجد وقراها وبلدانها، وانتشرت الدعوة بعد ذلك في نجد في عام ١٢٤٠هـ.

وكان تخريب الدرعية والقضاء علىٰ دولة آل سعود في عام ١٢٣٣هـ، فمكث الناس في نجد في فوضىٰ وقتال وفتن بنحو خمس سنين من أربع وثلاثين إلىٰ عام ١٢٣٩ هـ.

ثم في عام أربعين بعد المائتين وألف اجتمع شمل المسلمين في نجد علىٰ الإمام تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود، وظهر الحق وكتب العلماء الرسائل إلىٰ القرىٰ والبلدان، وشجعوا الناس ودعوهم إلىٰ دين الله وانطفأت الفتن التي بينهم بعد الحروب الطويلة التي حصلت علىٰ أيدي المصريين، وأعوانهم، وهكذا انطفأت الحروب، والفتن التي وقعت بينهم علىٰ أثر تلك الحروب، وخمدت نارها، وظهر دين الله، واشتغل الناس بعد ذلك بالتعليم، والإرشاد، والدعوة، والتوجيه، حتىٰ عادت المياه إلىٰ مجاريها، وعاد الناس إلىٰ أحوالهم، وما كانوا عليه في عهد الشيخ، وعهد تلامذته، وأبنائه، وأنصاره -رضي الله عن الجميع ورحمهم-.

واستمرت الدعوة من عام ١٢٤٠هـ إلىٰ يومنا هذا -بحمد الله-، ولم يزل يخلف آل سعود بعضهم بعضًا، وآل الشيخ وعلماء نجد بعضهم بعضًا، فآل سعود يخلف بعضهم بعضًا في الإمامة والدعوة إلىٰ الله والجهاد في سبيل الله.

وهكذا العلماء يخلف بعضهم بعضًا في الدعوة إلىٰ الله والإرشاد إليه، والتوجيه إلىٰ الحق.

إلا أن الحرمين بقيا مفصولين عن الدولة السعودية دهراً طويلاً ثم عادَا

إليهم في عام ١٣٤٣هـ، واستولىٰ علىٰ الحرمين الشريفين الإمام عبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل بن تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود -رحمة الله عليه- ولم يزالا -بحمد الله- تحت ولاية هذه الدولة إلىٰ يومنا هذا، فلله الحمد.

ونسأل اللهT أن يصلح البقية الباقية من آل سعود، ومن آل الشيخ، ومن علماء المسلمين جميعًا في هذه البلاد، وغيرها، وأن يوفقهم جميعًا لما يرضيه، وأن يصلح علماء المسلمين أينما كانوا، وأن ينصر بالجميع الحق ويخذل بهم الباطل، وأن يوفق دعاة الهدىٰ أينما كانوا للقيام بما أوجب الله عليهم، وأن يهدينا وإياهم صراطه المستقيم، وأن يعمر الحرمين الشريفين، وملحقاتهما، وسائر بلاد المسلمين بالهدىٰ، ودين الحق، وبتعظيم كتاب الله وسنة نبيهﷺ.

وأن يمن علىٰ الجميع بالفقه فيهما، والتمسك بهما، والصبر علىٰ ذلك، والثبات عليه، والتحاكم إليهما، حتىٰ يلقوا ربهمT إنه علىٰ كل شيء قدير وبالإجابة جدير.

وهذا آخر ما تيسر بيانه، والتعريف به من حال الشيخ، ودعوته، وأنصاره، وخصومه والله المستعان، وعليه الاتكال، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ عبده ورسوله، نبينا وإمامنا محمد بن عبد الله، وعلىٰ آله وأصحابه ومن سلك سبيله واهتدىٰ بهداه، والحمد لله رب العالمين.

˜ õ õ õ ™

ترجمة العلامة الشيخ
أحمد بن يحيى بن محمد بن شبير النجمي
بقلم تلميذه محمد بن هادي المدخلي

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلىٰ يوم الدين.

أما بعد:

$فإن للعلماء علينا من الحقوق ما بتركه يتم العقوق، ومن رعايتها: ضبط أحوالهم الشريفة، وتدوين مناقبهم المنيفة، وتخليد محاسنهم في بطون الأوراق، والمحافظة علىٰ حفظ نتائج أفكارهم[1] التي هي من أنفس الأعلاق، ومن ذلك:

تعظيمهم باللسان، والجنان، والأركان، وعدم التعرض لِمَا يؤذيهم بالدخول في أعراضهم الجميلة، والاستهانة بمناقبهم الجزيلة الجليلة، والتقعُّد لهم بمراصد الاستخفاف، والتنصُّب لهم بمنصة الخلاف.

---

(١) المراد بهذا نتاجهم العلمي الذي أتعبوا فيه أنفسهم، وكدوا فيه أذهانهم، وأكلُّوا فيه أفكارهم وأتعبوها حتىٰ أنتجوه، ولنا أخرجوه، فجزاهم الله عنَّا خير الجزاء.

وقد ورد في الآيات الفرقانية، والأحاديث النبوية، والآثار المصطفوية، ما يقتضي النهي عن ذلك وتتخطىٰ بمن عمل به أيمن المسالك#[١].

ومِمَّن له علينا هذا الحق شيخنا العلامة الشيخ: أحمد بن يحيىٰ النجمي -حفظه الله- فقد انتفعنا بعلمه كثيرًا؛ فجزاه الله عنا أفضل الجزاء.

وقد كثر الطلب من الإخوة المحبين للشيخ في كتابة نبذة ولو مختصرة عنه وعن حياته الذاتية والعلمية، وألحُّوا علي في ذلك غاية الإلحاح، وأنا أتهرب من ذلك، واعتذر دائمًا إليهم، لعلمي بالعجز والقصور لدي، ولكن كل ذلك لم يفد شيئًا ولم يعذرني منهم أحد، فلما رأيت ذلك منهم استعنت بالله تعالىٰ وحده في كتابة هذه النبذة المختصرة عن شيخنا -حفظه الله تعالىٰ-.

فأقول:

*** اسمه ونسبه:**

هو شيخنا الفاضل العلامة، المحدث، المسند، الفقيه، مفتي منطقة جازان حاليًّا، وحامل راية السنة والحديث فيها الشيخ أحمد بن يحيىٰ بن محمد بن شبير النجمي آل شبير من بني حُمَّد، إحدىٰ القبائل المشهورة بمنطقة جازان.

*** ولادته:**

ولد الشيخ -حفظه الله- بقرية النجامية في الثاني والعشرين من شهر شوال عام ستة وأربعين وثلثمائة وألف للهجرة النبوية (٢٢/١٠/١٣٤٦هـ) ونشأ في حجر أبوين صالحين ليس لهما سواه.

ولهذا فقد نذرا به لله -أي لا يكلفانه بشيء من أعمال الدنيا- وقد حقق الله

---

(١) من مقدمة $حدائق الزهر# للعلامة الحسن بن أحمد عاكش.

ما أرادا، فكانا محافظين عليه محافظة تامة، حتىٰ إنهما لا يتركانه يلعب بين الأولاد، ولما بلغ سن التمييز أدخلاه كتاتيب القرية فتعلم القراءة والكتابة، وقرأ القرآن في الكتاتيب الأهلية قبل مجيء الشيخ عبد الله القرعاوي : ثلاث مرات آخرها في العام (١٣٥٨هـ) الذي قدم فيه الشيخ القرعاوي.

حيث قرأ القرآن أولًا علىٰ الشيخ عبده بن محمد عقيل النجمي عام (١٣٥٥هـ)، ثم قرأ أيضًا علىٰ الشيخ: يحيىٰ فقيه عبسي وهو من أهل اليمن، وكان قد قدم علىٰ النجامية وبقي بها ودرس عليه شيخنا في عام (١٣٥٨هـ)، ولما قدم الشيخ عبد الله القرعاوي حصلت بينه وبين هذا المعلم مناظرة في مسألة الاستواء -وكان أشعريًّا- فهزم، وهرب علىٰ إثر ذلك ﴿ ! " # $ % ' ( ) * ﴾ [الأنعام:٤٥].

*** نشأته العلمية:**

وبعدما هرب مدرسهم الأشعري تردد الشيخ مع عمَّيه الشيخ حسن بن محمد، والشيخ حسين بن محمد النجميين علىٰ الشيخ عبد الله القرعاوي في مدينة صامطة أيامًا ولكنه لم يستمر، وكان ذلك في عام (١٣٥٩هـ) وفي عام (١٣٦٠) وفي صفر بالتحديد التحق شيخنا بالمدرسة السلفية وقرأ القرآن هذه المرة بأمر الشيخ عبد الله القرعاوي : علىٰ الشيخ عثمان بن عثمان حملي : حيث قرأ عليه القرآن مجودًا، وحفظ (تحفة الأطفال)، و(هداية المستفيد)، و(الثلاثة الأصول)، و(الأربعين النووية)، و(الحساب) وأتقن تعلم الخط.

وكان يجلس في الحلقة التي وضعه الشيخ فيها إلىٰ أن يتفرق الطلبة الصغار بعد صلاة الظهر، ثم ينضم إلىٰ الحلقة الكبرىٰ التي يتولىٰ الشيخ عبد الله القرعاوي تدريسها بنفسه فيجلس معهم من بعد صلاة الظهر إلىٰ صلاة العشاء، ثم

يعود مع عميه المذكورين سابقًا إلىٰ قريته (النجامية).

وبعد أربعة أشهر أذن له الشيخ عبد الله القرعاوي : أن ينضم إلىٰ هذه الحلقة -حلقة الكبار- التي يدرسها الشيخ بنفسه، فقرأ علىٰ الشيخ فيها: (الرحبية) في الفرائض، و(الآجرومية) في النحو، و(كتاب التوحيد) و(بلوغ المرام) و(البيقونية)، و(نخبة الفكر) وشرحها (نزهة النظر)، و(مختصرات في السيرة)، و(تصريف الغزي)، و(العوامل في النحو مائة)، و(الورقات) في أصول الفقه، و(العقيدة الطحاوية) بشرح الشيخ عبد الله القرعاوي، قبل أن يروا شرح ابن أبي العز عليها، ودرس أيضًا شيئًا من (الألفية) لابن مالك، و(الدرر البهية) مع شرحها (الدراري المضية) في الفقه، وكلاهما للشوكاني : وغير ذلك من الكتب سواء منها ما درسوه كمادة مقررة كالكتب السابقة أو ما درسوه علىٰ سبيل التثقف لبعض الرسائل والكتب الصغيرة، أو كانوا يرجعون إليه عند البحث كـ (نيل الأوطار)، و(زاد المعاد)، و(نور اليقين)، و(الموطأ)، و(الأمهات).

وفي عام (١٣٦٢هـ) وزع عليهم الشيخ عبد الله : أجزاء الأمهات الموجودة في مكتبته وهي: (الصحيحين)، و(سنن أبي داود)، و(سنن النسائي)، و(موطأ الإمام مالك) فقرءوا عليه فيها ولم يكملوها؛ لأنهم تفرقوا بسبب القحط.

وفي عام (١٣٦٤هـ) عادوا فقرءوا عليه ثم أجازه الشيخ عبد الله -رحمه الله تعالىٰ- برواية الأمهات الست.

وفي عام(١٣٦٩هـ) درس علىٰ الشيخ إبراهيم بن محمد العمودي : قاضي صامطة في ذلك الوقت كتاب إصلاح المجتمع، وكتاب الشيخ عبد الرحمن بن سعدي : في الفقه المرتب علىٰ صيغة السؤال والجواب واسمه: (الإرشاد إلىٰ معرفة الأحكام).

كما درس علىٰ الشيخ علي بن الشيخ عثمان زياد الصومالي بأمر من الشيخ عبد الله القرعاوي : في النحو كتاب (العوامل في النحو مائة) وكتب أخرىٰ في النحو والصرف.

وفي عام (١٣٨٤هـ) حضر في حلقة الشيخ الإمام العلامة مفتي الديار السعودية الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ : لمدة تقارب شهرين في التفسير في (تفسير ابن جرير الطبري) بقراءة عبد العزيز الشلهوب.

كما حضر في العام نفسه في حلقة شيخنا الإمام العلامة الشيخ عبد العزيز بن باز : لمدة شهر ونصف تقريبًا في صحيح البخاري بين المغرب والعشاء.

*** شيوخه:**

مما مضىٰ يتبين لنا شيوخه -حفظه الله- وهذا ترتيبهم:

١ - الشيخ إبراهيم بن محمد العمودي، قاضي صامطة في حينه.

٢ - الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي : .

٣ - الشيخ العلامة الداعية المجدد في جنوب المملكة عبد الله القرعاوي - رحمه الله تعالىٰ -، وبه تخرج الشيخ أحمد، فهو أكثر شيوخه إفادة له.

٤ - الشيخ عبده بن محمد عقيل النجمي.

٥ - الشيخ عثمان بن عثمان حملي.

٦ - الشيخ علي بن الشيخ عثمان زياد الصومالي.

٧ - الشيخ الإمام العلامة مفتي البلاد السعودية السابق محمد بن إبراهيم آل الشيخ : .

٨ - الشيخ يحيىٰ فقيه عبسي اليمني.

*** تلاميذه:**

ولشيخنا -حفظه الله تعالىٰ- كثير وكثير من التلاميذ، فمن أمضىٰ مثل هذه المدة في التدريس التي تقارب النصف قرن، كم يتصور أن يكون تلاميذه، ولو ذهبت أعددهم لاحتجت إلىٰ مجلد ضخم؛ وإنما أذكر نموذجًا يستدل به علىٰ الباقين فمنهم:

١ - شيخنا العلامة المحدث ناصر السنة الشيخ ربيع بن هادي.

٢ - شيخنا العلامة الفقيه زيد بن محمد هادي المدخلي.

٣- شيخنا العالم الفاضل علي بن ناصر الفقيهي.

وإنما اكتفيت بذكر هؤلاء الثلاثة لشهرتهم في الأوساط العلمية، فلا يعتب علينا أحد.

*** ذكاؤه -وفقه الله-:**

يتمتع الشيخ بدرجة من الذكاء عالية جدًّا؛ وهاك قصة تدل علىٰ ذكائه وحافظته منذ صغره -حفظه الله-:

يقول العم الشيخ عمر بن أحمد جردي المدخلي -وفقه الله-:

$لما كان الشيخ أحمد يحضر مع عميه حسنًا وحسينًا النجميين إلىٰ المدرسة السلفية بصامطة -أي في عام (١٣٥٩هـ)- وعمره آنذاك (١٣ سنة) كان يسمع الدروس التي يلقيها الشيخ عبد الله القرعاوي علىٰ تلاميذه الكبار، وكان يحفظها حفظًا#.

قلت: وهذا هو ما جعل الشيخ عبد الله القرعاوي يلحقه بحلقة الكبار الذين كان الشيخ يتولىٰ تدريسهم بنفسه؛ لأنه رأىٰ نجابته وسرعة حفظه وذكاءه.

* أعماله:

عمل شيخنا -حفظه الله- مدرسًا بمدارس شيخه القرعاوي : احتسابًا، وعندما بدأت الوظائف عين مدرسًا بقريته (النجامية) وكان ذلك في عام (١٣٦٧هـ)، وفي عام (١٣٧٢هـ) نقل إمامًا ومدرسًا في قرية (أبو سبيلة) بالعارضة، وفي عام (١٣٧٤هـ) وفي (١/١/١٣٧٤هـ) بالتحديد عندما فتح المعهد العلمي في (صامطة) عُيِّن مدرسًا به حتىٰ عام (١٣٨٤هـ) حيث استقال من التدريس بالمعهد علىٰ أمل أن يدرس بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية وسافر إليها؛ لكن حصلت له ظروف حالت دون ذلك، فعاد إلىٰ المنطقة وكتب الله له التعيين واعظًا مرشدًا بوزارة العدل بمنطقة جازان فقام بالوعظ والإرشاد أحسن قيام.

وفي عام (١٣٨٧هـ) وبالتحديد في (١/ ٧ منه) عاد مدرسًا بالمعهد العلمي بمدينة (جازان) حسب طلبه، وفي ابتداء الدراسة عام ١٣٨٩هـ عاد إلىٰ التدريس بمعهد (صامطة) وبقي به مدرسًا حتىٰ أحيل علىٰ التقاعد في (١/٧/١٤١٠هـ).

ومنذ ذلك الحين إلىٰ كتابة هذه الأسطر، وهو مشتغل بالتدريس في بيته والمسجد المجاور له ومساجد أخرىٰ في المنطقة في دروس أسبوعية مع القيام بأمر الفتوىٰ.

وهو في هذا كله قد عمل بوصية شيخه له في مداومته علىٰ التعليم، والمحافظة علىٰ المتعلمين وخاصة الغرباء والمنقطعين منهم، وله -حفظه الله- علىٰ ذلك صبر عجيب، فجزاه الله عنا خيرًا.

وقد عمل أيضًا بوصية شيخه القرعاوي : فواصل الدراسة والبحث والاستفادة، وخاصة في علمي الحديث والفقه وأصولهما حتىٰ فاق أقرانه وأصبح له في ذلك اليد الطولىٰ، بارك الله في عمره وعلمه ونفع بجهوده.

*** آثاره العلمية:**

لشيخنا -حفظه الله- آثار علمية كثيرة بعضها طبع وبعضها لم يطبع، نسأل الله تعالىٰ أن ييسر طبعه حتىٰ يحصل الانتفاع به ومن ذلك:

١ - أوضح الإشارة في الرد علىٰ من أباح الممنوع من الزيارة.

٢ - تأسيس الأحكام شرح عمدة الأحكام -طبع منه جزء صغير جدًّا جدًّا[١].

٣- تنزيه الشريعة عن إباحة الأغاني الخليعة.

٤ - رسالة الإرشاد إلىٰ بيان الحق في حكم الجهاد.

٥ - رسالة في حكم الجهر بالبسملة.

٦ - فتح الرب الودود في الفتاوىٰ والردود.

٧- المورد العذب الزلال فيما انتقد علىٰ بعض المناهج الدعوية من العقائد والأعمال.

وغير ذلك من المؤلفات النافعة التي قدمها للمسلمين -جزاه الله خير الجزاء ونفع به الإسلام والمسلمين-.

وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

كتبه تلميذه

محمد بن هادي بن علي المدخلي

المحاضر بكلية الحديث بالجامعة

الإسلامية بالمدينة النبوية

---

(١)هو مطبوع كاملاً -بحمد الله تعالىٰ- لدينا بـ: (دار المنهاج). الناشر

متن

الأصـــول الـثـلاثـــة

بسم الله الرحمن الرحيم

المتن:

اعلم -رحمك الله- أنه يجب علينا تعلم أربع مسائل:

الأولىٰ: العلم، وهو معرفة الله، ومعرفة نبيه، ومعرفة دين الإسلام بالأدلة.

الثانية: العمل به.

الثالثة: الدعوة إليه.

الرابعة: الصبر علىٰ الأذىٰ فيه.

والدليل: قوله تعالىٰ: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / 0 ﴾ [العصر:١-٣].

قال الشافعي : : لو ما أنزل الله حجة علىٰ خلقه إلا هذه السورة لكفتهم.

وقال البخاري -رحمه الله تعالىٰ-: باب: العلم قبل القول والعمل، والدليل قوله تعالىٰ: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ à ٱللَّهُ â لِذَنۢبِكَ ﴾ [محمد:١٩]. فبدأ بالعلم قبل القول والعمل.

اعلم -رحمك الله- أنه يجب علىٰ كل مسلم ومسلمة تعلم هذه الثلاث المسائل والعمل بهن:

الأولىٰ: أن الله خلقنا ورزقنا ولم يتركنا هملًا، بل أرسل إلينا رسولًا، فمن أطاعه دخل الجنة، ومن عصاه دخل النار، والدليل: قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَآ أَرْسَلْنَآ ©فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا ﴾

[المزمل:١٥-١٦].

الثانية: أن الله لا يرضىٰ أن يشرك معه في عبادته أحد لا ملك مقرب ولا نبي مرسل، والدليل: قوله تعالىٰ: ﴿ G H I J K L M N ﴾ [الجن:١٨].

الثالثة: أن من أطاع الرسول ووحد الله فلا يجوز له موالاة من حاد الله ورسوله، والدليل قوله تعالىٰ: ﴿ ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 : ; < = > @ A B C D E F G H I J K L M O P Q S T U V W X ﴾ [المجادلة:٢٢].

اعلم -أرشدك الله لطاعته- أن الحنيفية ملة إبراهيم، أن نعبد الله وحده مخلصين له الدين.

وبذلك أمر الله جميع الناس وخلقهم لها، كما قال تعالىٰ: ﴿ C D E F G H ﴾ [الذاريات:٥٦].

ومعنىٰ يعبدون: أي: يوحدون.

وأعظم ما أمر الله به: التوحيد وهو إفراد الله بالعبادة، وأعظم ما نهىٰ عنه: الشرك وهو دعوة غيره معه، والدليل: قوله تعالىٰ: ﴿ g h i j k l ﴾ [النساء:٣٦].

فإذا قيل لك: ما الأصول الثلاثة التي يجب علىٰ الإنسان معرفتها؟

فقل: معرفة العبد ربه، ودينه، ونبيه محمدﷺ.

فإذا قيل: لك من ربك؟

فقل: ربي الله الذي رباني وربىٰ جميع العالمين بنعمه، وهو معبودي ليس لي معبود سواه، والدليل: قوله تعالىٰ: ﴿ & ') (﴾ [الفاتحة:٢].

وكل ما سوىٰ الله عالم، وأنا واحد من ذلك العالم.

فإذا قيل لك: بما عرفت ربك؟

فقل: بآياته ومخلوقاته.

ومن آياته: الليل والنهار، والشمس والقمر.

ومن مخلوقاته: السموات السبع، والأرضون السبع وما فيهن، وما بينهما، والدليل: قوله تعالىٰ: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ۝ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ ´ µ ¶ ¸ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [فصلت:٣٧].

وقوله تعالىٰ: ﴿U V W X Y Z [\ ] ^ _ ` a b c d e f g h i j k l m n o p q r s t u v﴾ [الأعراف:٥٤].

والرب هو المعبود، والدليل: قوله تعالىٰ: ﴿l m n o p q r s t u v w x y z { | } ~ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا ۝ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٢١-٢٢].

قال ابن كثير: الخالق لهذه الأشياء هو المستحق للعبادة.

وأنواع العبادة التي أمر الله بها مثل: الإسلام، والإيمان، والإحسان، ومنه الدعاء، والخوف، والرجاء، والتوكل، والرغبة، والرهبة، والخشوع، والخشية، والإنابة، والاستعانة، والاستعاذة، والاستغاثة، والذبح، والنذر وغير ذلك من أنواع العبادة التي أمر الله بها كلها لله تعالىٰ، والدليل قوله تعالىٰ: ﴿G H I J K L M N﴾ [الجن:١٨].

فمن صرف منها شيئًا لغير الله فهو مشرك كافر، والدليل: قوله تعالىٰ:

﴿ ¶ ¸ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَـٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾ [المؤمنون:١١٧].

وفي الحديث: $الدعاء مخ العبادة#(١).

والدليل: قوله تعالىٰ: ﴿ - . / 0 1 3 4 5 6 7 8 9 : ﴾[غافر:٦٠].

ودليل الخوف: قوله تعالىٰ: ﴿ 7 8 9 : ; < ﴾ [آل عمران:١٧٥].

ودليل الرجاء: قوله تعالىٰ: ﴿ â كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ ç è é ê ë بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ Î ﴾ [الكهف:١١٠].

ودليل التوكل قوله تعالىٰ: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة:٢٣]، وقوله: ﴿ w x y z { | ﴾ [الطلاق:٣].

ودليل الرغبة، والرهبة، والخشوع: قوله تعالىٰ: ﴿ ¸ كَانُواْ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُواْ لَنَا خَـٰشِعِينَ ﴾ [الأنبياء:٩٠].

ودليل الخشية: قوله تعالىٰ: ﴿ G H I ﴾ [المائدة:٣].

ودليل الإنابة: قوله تعالىٰ: ﴿ وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ ﴾ [الزمر:٥٤].

ودليل الاستعانة: قوله تعالىٰ: ﴿ 2 3 4 5 ﴾ [الفاتحة:٥].

وفي الحديث: $إذا استعنت فاستعن بالله#(٢).

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٣٧١) من حديث أنس بن مالك t ، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٣٠٠٣).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٥١٦) من حديث ابن عباس ﷺ، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧٩٥٧).

ودليل الاستعاذة: قوله تعالىٰ: ﴿4 5 6 7 ﴾ [الفلق:١]، و﴿P Q R S ﴾ [الناس:١].

ودليل الاستغاثة -فيما لا يقدر عليه إلا الله فهي حرام وشرك أكبر- قوله تعالىٰ: ﴿! " # $ % & ' ( ) * + ﴾ [الأنفال:٩].

ودليل الذبح: قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي © رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ﴾ [الأنعام:١٦٢-١٦٣].

ومن السنة: $لعن الله من ذبح لغير الله#[1].

ودليل النذر: قوله تعالىٰ: ﴿ (* + , - . / ﴾ [الإنسان:٧].

الأصل الثاني: معرفة دين الإسلام بالأدلة.

هو الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والبراءة من الشرك وأهله.

وهو ثلاث مراتب: الإسلام، والإيمان، والإحسان، وكل مرتبةٍ لها أركانٌ.

فأركان الإسلام خمسة: شهادة أن لا إله إلا الله، وأنَّ محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج بيت الله الحرام.

فدليل الشهادة قوله تعالىٰ: ﴿ 4 5 6 7 8 9 : ; < = > ? A B C D E F ﴾ [آل عمران:١٨].

ومعناها: لا معبود بحقٍّ إلا الله، $لا إله# نافيًا جميع ما يعبد من دون الله، $إلاَّ الله# مثبتًا العبادة لله وحده لا شريك له في عبادته كما لا شريك له في ملكه.

وتفسيرها الذي يوضحها؛ قوله تعالىٰ: ﴿Q R S T U V W X Y Z [\ ] ^ _ ` a b c d e f ﴾

---

(١) أخرجه مسلم (١٩٧٨) من حديث عليٍّ t .

g ﴾ [الزخرف:٢٨].

وقوله: ﴿ : ; < = > ? @ A B C D E F
W V U T R Q P O N M L K J I H G
Y X ﴾ [آل عمران:٦٤].

ودليل الشهادة أن محمدًا رسول الله: قوله تعالىٰ: ﴿ | { ~
مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ ©
رَّحِيمٌ﴾ [التوبة:١٢٨].

ومعنىٰ شهادة أنَّ محمدًا رسول الله: طاعته فيما أمر، وتصديقه فيما أخبر، واجتناب ما نهىٰ عنه وزجر، وألا يعبد الله إلاَّ بما شرع.

ودليل الصلاة والزكاة وتفسير التوحيد: قوله تعالىٰ: ﴿ h i j k
l m n o p q r s t u v w x ﴾ [البينة:٥].

ودليل الصيام: قوله تعالىٰ: ﴿ 3 4 5 6 7 8 9
: ; < = > ? @ ﴾ [البقرة:١٨٣].

ودليل الحج: قوله تعالىٰ: ﴿ | { ~ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا
وَمَن كَفَرَ ©ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران:٩٧].

المرتبة الثانية: الإيمان.

وهو بضع وسبعون شعبة، فأعلاها: قول لا إله إلا الله، وأدناها: إماطة الأذىٰ عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان.

وأركانه ستة: أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره.

والدليل علىٰ هذه الأركان الستة: قوله تعالىٰ: ﴿ ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / 0 1 2 3 ﴾ [البقرة:١٧٧].

ودليل القدر: قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّا كُلَّ à خَلَقْنَٰهُ â ﴾ [القمر:٤٩].

المرتبة الثالثة: الإحسان، ركنٌ واحدٌ، وهو: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك، والدليل: قوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾ [النحل:١٢٨].

وقوله: ﴿ b c d e f g h i j k l m n o p q r s ﴾ [الشعراء:٢١٧-٢٢٠].

وقوله: ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ﴾ [يونس:٦١].

الأصل الثالث: معرفة نبيكم محمد ﷺ، وهو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ابن هاشم، وهاشم من قريش، وقريش من العرب، والعرب من ذرية إسماعيل ابن إبراهيم الخليل، عليه وعلىٰ نبينا أفضل الصلاة والسلام.

وله من العمر ثلاث وستون سنة، منها أربعون قبل النبوة، وثلاث وعشرون نبيًّا رسولًا.

قال: (نبئ باقرأ، وأرسل بالمدثر)، وبلده مكة، بعثه الله بالنذارة عن الشرك، ويدعو إلىٰ التوحيد، والدليل: قوله تعالىٰ: ﴿ | { ~ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ © فَٱهْجُرْ ۝٥ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝٦ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ ﴾ [المدثر:١-٧].

ومعنىٰ: ﴿قُمْ فَأَنذِرْ﴾ ينذر عن الشرك ويدعو إلىٰ التوحيد.

﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾؛ أي: طهر أعمالك عن الشرك.

﴿ © فَٱهْجُرْ﴾ الرجز: الأصنام، وهجرها: تركها والبراءة من أهلها.

أخذ علىٰ هذا عشر سنين يدعو إلىٰ التوحيد، وبعد العشر عُرج به إلىٰ السماء، وفرضت عليه الصلوات الخمس، وصلىٰ في مكة ثلاث سنين.

وبعدها أمر بالهجرة إلىٰ المدينة، والهجرة فريضة علىٰ هذه الأمة من بلد الشرك إلىٰ بلد الإسلام، وهي باقيةٌ إلىٰ أن تقوم الساعة.

والدليل: قوله تعالىٰ: ﴿P Q R S T U V W X Z [\ ] ^ ` a b c d e f g i j k l m n o p q r s t u v w x y z { | } ~ ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ [النساء:٩٧-٩٩].

وقوله تعالىٰ: ﴿D E F G H I J K﴾ [العنكبوت:٥٦].

قال البغوي -رحمه الله تعالىٰ-: سبب نزول هذه الآية في المسلمين الذين بمكة لم يهاجروا ناداهم الله باسم الإيمان.

والدليل علىٰ الهجرة من السنة: قوله ﷺ: $لا تنقطع الهجرة حتىٰ تنقطع التوبة، ولا تنقطع التوبة حتىٰ تطلع الشمس من مغربها#[(١)].

فلما استقر في المدينة أمر ببقية شرائع الإسلام مثل الزكاة، والصوم، والحج، والأذان، والجهاد، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وغير ذلك من شرائع الإسلام؛ أخذ علىٰ هذا عشر سنين.

---

(١) أخرجه أبو داود (٢٤٧٩)، وأحمد (١٦٤٦٣) من حديث معاوية t، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧٤٦٩).

ثم توفي -صلوات الله وسلامه عليه- ودينه باقٍ، وهذا دينه لا خير إلا دلَّ الأمة عليه، ولا شر إلا حذرها منه، والخير الذي دلها عليها: التوحيد وجميع ما يحبه الله ويرضاه، والشر الذي حذرها منه: الشرك وجميع ما يكرهه الله ويأباه.

بعثه الله إلىٰ الناس كافة، وافترض طاعته علىٰ جميع الثقلين الجن والإنس، والدليل: قوله تعالىٰ: ﴿ r s t u v w x y ﴾ [الأعراف:١٥٨].

وكَمَّلَ الله به الدين، والدليل: قوله تعالىٰ: ﴿ K L M N O P Q R S T U ﴾ [المائدة:٣].

والدليل علىٰ موته ﷺ: قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ [الزمر:٣٠-٣١].

والناس إذا ماتوا يبعثون، والدليل: قوله تعالىٰ: ﴿M N O P Q R S T U ﴾ [طه:٥٥].

وقوله تعالىٰ:﴿ L M N O P Q R S T U V ﴾ [نوح:١٧-١٨].

وبعد البعث محاسبون، ومجزيون بأعمالهم، والدليل: قوله تعالىٰ: ﴿ c d e f g h i j k ﴾ [النجم:٣١].

ومن كذب بالبعث بعد الموت كفر، والدليل: قوله تعالىٰ: ﴿ ~ ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي © ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [التغابن:٧].

وأرسل جميع الرسل مبشرين ومنذرين، والدليل قوله تعالىٰ: ﴿ O P Q R S T U V W X ﴾ [النساء:١٦٥].

وأولهم نوح **u** ، وأخرهم محمد ﷺ خاتم النبيين، والدليل علىٰ أن أولهم

نوح: قوله تعالىٰ: ﴿ " # $ % & ' ( ) * + ﴾ [النساء:١٦٣].

وكل أمة بعث الله إليها رسولًا من نوح إلىٰ محمدﷺ يأمرهم بعبادة الله وحده، وينهاهم عن عبادة الطاغوت، والدليل: قوله تعالىٰ: ﴿ D E F G H I J K L M N ﴾ [النحل:٣٦].

وافترض الله علىٰ جميع العباد الكفر بالطاغوت، والإيمان بالله.

قال ابن القيم -رحمه الله تعالىٰ-: $معنىٰ الطاغوت: ما تجاوز به العبد حده من معبود، أو متبوع، أو مطاع#.

والطواغيت كثيرة، رءوسهم خمسة: إبليس لعنه الله، ومن عُبد وهو راضٍ، ومن دعا الناس إلىٰ عبادة نفسه، ومن ادعىٰ شيئًا من علم الغيب، ومن حكم بغير ما أنزل الله، والدليل: قوله تعالىٰ: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ﴾ [البقرة:٢٥٦]، وهذا معنىٰ لا إله إلا الله.

وفي الحديث: $رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله#[1]، والله أعلم.

وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد، وعلىٰ آله وصحبه وسلم.

˜ õ õ õ ™

(١) أخرجه الترمذي (٢٦١٦) من حديث معاذ بن جبل t ، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١١٢٢).

التعليق
على الأصول الثلاثة

بسم الله الرحمن الرحيم

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب التميمي : :

اعلم -رحمك الله- أنه يجب علينا تعلم أربع مسائل:

الأولىٰ: العلم، وهو معرفة الله، ومعرفة نبيه، ومعرفة دين الإسلام بالأدلة[١].

---

[١] قَولُه: **(اعلم رحمك الله)** أولًا كلمة: (اعلم) هو استثارة لانتباه الشخص.

قوله: **(رحمك الله)** هذه دعوة من المؤلف –رحمه الله تعالىٰ-.

قوله: **(أنه يجب علينا)**؛ أي: نحن المكلفين.

قوله: **(تعلم أربع مسائل)** هذه المسائل هي الملخصة من سورة العصر وهي:

أولًا: العلم:

والعلم: هو معرفة الله، ومعرفة نبيه، ومعرفة دين الإسلام بالأدلة، لأن الله I يقول مقسمًا علىٰ ذلك: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ ! " # $ % & ﴾ [العصر:١-٢].

أقسم الله علىٰ أن كل إنسان خاسر، ولا يستثنىٰ من ذلك إلا من استثناهم الله بقوله: T ﴿) (* ﴾.

الإيمان: هو التصديق[(١)]، والتصديق لابد من أن يكون بشيء سبق العلم به؛

---

(١) انظر لزامًا كلام شيخ الإسلام ابن تيمية في $مجموع الفتاوىٰ# (١٢٢/٧ فما بعد)؛ ففيه ذكر من قال من أهل السنة: إن الإيمان في اللغة التصديق، وفيه ترجيح شيخ الإسلام. الناشر [طبعة مكتبة دار الحديث].

قال الشيخ النجمي : $بمراجعة $مجموع الفتاوىٰ# (١٢٢/٧) وُجِدَ أن شيخ

.....

أي: أن الإيمان يقتضي شيئًا يصدق به، وهو التصديق بشيء معلوم وهو ما علمته، فالعلم لابد أن يكون قبل القول والعمل، إذن آمنوا بأي شيء: آمنوا بالله.

أما التعريف الشرعي للإيمان عند أهل السنة والجماعة: فهو اعتقاد بالقلب، ونطق باللسان، وعمل بالجوارح.

أولًا: الإيمان بوجوده وربوبيته.

ثانيًا: الإيمان بألوهيته.

ثالثًا: الإيمان بأسمائه وصفاته وكونه هو المنفرد بسياسة هذا الكون.

فالعلم فسره المؤلف بقوله: الأولىٰ: العلم.

العلم: يقال له: ﴿) (* ﴾؛ يعني: علموا وصدقوا.

استنبط الشيخ من ﴿) (* ﴾ العلم؛ يعني: أنهم عملوا وصدقوا بذلك العلم؛ فالإيمان مستلزم للعلم؛ لأن الإيمان الذي هو التصديق لا يكون إلا بمعلوم.

قوله: **(وهو معرفة الله)**، كيف تعرف الله ؟

الجواب: معرفة اللهT من الناحية الإجمالية تثبت بالفطرة، فكل مخلوق يعلم أن الله خلقه، ومن أنكر ذلك كالملحدين فإنه ينكر في الظاهر، وهو في باطنه مستيقن بأن الله هو الذي خلقه، أما معرفة الله بالتفصيل فهذا لا يمكن إلا من طرق

.....

الإسلام يرد علىٰ من يزعم أن الإيمان هو مجرد التصديق، وأنا لم أقصد هذا والحمد لله، وإنما لمَّا كان التعليق مختصرًا ويُقصد به ما يفهمه العوام قصدت هذا، والآن كتبت تعريف الإيمان عند أهل السنة والجماعة، وأنه لابد فيه من اجتماع تصديق القلب، وإقرار اللسان، وعمل الجوارح، وأنه ما لم تجتمع فيه هذه الثلاث وإلَّا فلا يكون إيمانًا عند أهل السنة والجماعة#. اهـ

الرسل الذين أرسلهم الله إلىٰ بني آدم.

قال تعالىٰ: ﴿ | { ~ يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى ۙ فَمَنِ ٱتَّقَىٰ © فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [الأعراف:٣٥].

إذن؛ معرفة الله بالتفصيل لا يمكن لأحد إلا من طريق الرسل -صلوات الله عليهم-، وفي شريعتنا من كتاب وسنة قد جاء ما يكفي ويشفي، بيَّن اللهT في كتابه الذي أنزله علىٰ رسوله -صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم- وهو القرآن، بين فيه كل شيء ومن ضمن ذلك، وأعظم شيء فيه وأهم المهمات معرفة الله، عرفنا الله بنفسه من خلال آياته الكونية وآياته القرآنية.

قال تعالىٰ: ﴿ ` a b c d e f g | i j k l
p q r s t u ﴾ [فاطر:٤١].

وقال تعالىٰ: ﴿ , قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الزمر:٦٧] إلىٰ غير ذلك من الآيات التي عرفنا الله فيها بنفسه.

قال تعالىٰ: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [فصلت:٥٣].

وإذن؛ فقد عرفنا الله بنفسه بأن له ذاتًا وأن له صفاتًا، وأنه هو الإله الحق الذي ينبغي أن يفرد في العبادة دون ما سواه.

ومن خلال ذلك: عرفنا وجود الله بأنه مستو علىٰ عرشه بائن من خلقه، وعلمه بكل مكان.

وعرفنا وحدانيته وانفراده بالخلق والرزق، قال تعالىٰ: ﴿أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ

إِنۡ أَمۡسَكَ رِزۡقَهُۥ ´ µ ¶ ¸ وَنُفُورٍ﴾ [الملك:٢١].

وعرفنا بما عرَّفنا به عن نفسه أن له أسماء حسنىٰ، وأن له صفات عليا، علو ذات، وعلو قدر، وعلو قهر، فهذه هي معرفة الله نتيجتها إفراده بالعبادة من دعوة وخوف ورجاء وغير ذلك؛ قال تعالىٰ: ﴿Z [\ ] ^ _ a b c d f g h i j l m n o ﴾ [القصص:٨٨].

ثانيًا: (معرفة نبيه):

أي: معرفة النبيﷺ بأنه رسول الله أرسله إلىٰ الناس جميعًا ليخرجهم من الظلمات إلىٰ النور، هذه هي مقتضيات الإيمان التي يؤمن بها المسلم.

ثالثًا: (معرفة دين الإسلام بالأدلة):

أي: بأن تعرف بأن هذا حكمه واجب ودليله كذا، وهذا حكمه محرم ودليله كذا، وهذا حكمه مستحب ودليله كذا، وهذا حكمه مكروه ودليله كذا، وهذا حكمه مباح ودليله كذا، ولهذا قالوا في أصول الفقه حينما عرفوا الفقه: هو معرفة الأحكام الشرعية من أدلتها التفصيلية.

~ õ õ õ ™

الثانية: العمل به[١].

الثالثة: الدعوة إليه [٢].

الرابعة: الصبر علىٰ الأذىٰ فيه.

والدليل: قوله تعالىٰ: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / 0 ﴾ [العصر:١-٣].

قال الشافعي : لو ما أنزل الله حجة علىٰ خلقه إلا هذه السورة لكفتهم.

وقال البخاري -رحمه الله تعالىٰ-: باب: العلم قبل القول والعمل، والدليل قوله تعالىٰ: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ à ٱللَّهُ â لِذَنۢبِكَ ﴾ [محمد:١٩]. **فبدأ بالعلم قبل القول والعمل[٣].**

---

[١] **الثانية: (العمل به)**: أي العمل بهذا الإيمان، وبهذه المعرفة عرفت أن هذا حكمه الفرضية ففعلته هذا حكمه التحريم فتركته واجتنبته إلىٰ آخر ما يقال.

[٢] **الثالثة: (الدعوة إليه)**: أي إذا توفر فيك الإيمان والعمل انتقلت إلىٰ الدعوة فأنت تدعو الناس إلىٰ ما آمنت به وعلمته لكي يحُرزوا النجاة، ولما كانت الدعوة تحتاج أولًا: إلىٰ حكمة، وثانيًا: إلىٰ صبر، قال: (الصبر علىٰ الأذىٰ فيه).

[٣] **الرابعة: (الصبر علىٰ الأذىٰ فيه)**: الأذىٰ في الله لابد أن يحصل، ولكن قد يكون الأذىٰ خفيف وقد يكون الأذىٰ شديد، لكن يجب عليك أن تواجه ذلك بالصبر ولا تتضجر، ولهذا أخبر الله عن قومٍ تضجروا من الأذىٰ وانتكسوا: ﴿ N O P Q R S T U V W X Y Z

k j i h g f e d c b a ` _ ^] \ [
m l ﴾ [العنكبوت:١٠].

هذا الدرس هو مقتضىٰ سورة العصر ﴿ ! " # $ % & '
) (* + , - . / 0 ﴾ [العصر:١-٣].

فلا تكون النجاة من الخسارة مضمونة والفلاح مضمون إلا لمن اتصف بهذه الصفات الأربع.

ولهذا قال الشافعي : $لو ما أنزل الله حجةٌ علىٰ خلقه إلا هذه السورة لكفتهم#.

وقال البخاري : (باب العلم قبل القول والعمل)، والدليل قوله تعالىٰ: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ à ٱللَّهُ â لِذَنۢبِكَ ﴾ [محمد:١٩]، وبالله التوفيق.

˜ õ õ õ ™

اعلم -رحمك الله- أنه يجب علىٰ كل مسلم ومسلمة تعلم هذه الثلاث المسائل والعمل بهن:

الأولىٰ: أن الله خلقنا ورزقنا ولم يتركنا هملًا، بل أرسل إلينا رسولًا، فمن أطاعه دخل الجنة، ومن عصاه دخل النار.

والدليل: قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ رَسُولٗا شَٰهِدًا عَلَيۡكُمۡ كَمَآ أَرۡسَلۡنَآ ۝ فِرۡعَوۡنَ رَسُولٗا ۝١٥ فَعَصَىٰ فِرۡعَوۡنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذۡنَٰهُ أَخۡذٗا وَبِيلٗا﴾ [المزمل:١٥-١٦][١].

---

[١] **وأقول:** إن هذه الثلاث المسائل نعرف بها حقيقة التوحيد.

فالمسألة الأولىٰ أن الله خلقنا ورزقنا ولم يتركنا هملاً ؛ أي: لا نؤمر ولا ننهىٰ، بل أرسل إلينا رسولًا دعانا إلىٰ التوحيد، وحذرنا من العصيان والمخالفة، وحذرنا قبل ذلك أن نشرك مع الله أحدًا، فقد مكث رسول الله ﷺ عشر سنوات لا يأمر أحدًا بشيء غير التوحيد.

فعن أبي أمامة t قال: قال عمرو بن عبسة السلمي t : $كنت وأنا في الجاهلية أظن أن الناس علىٰ ضلالة وأنهم ليسوا علىٰ شيء، وهم يعبدون الأوثان، فسمعت برجل بمكة يخبر أخبارًا فقعدت علىٰ راحلتي، فقدمت عليه، فإذا رسول الله ﷺ مستخفيًا جرءاء عليه قومه، فتلطفت حتىٰ دخلت عليه بمكة فقلت له: ما أنت ؟ قال: **أنا نبي.** فقلت: وما نبي ؟ قال: **أرسلني الله.** فقلت: وبأي شيء أرسلك ؟ قال: **أرسلني بصلة الأرحام، وكسر الأوثان، وأن يوحد الله لا يشرك به شيء**#[(١)].

وعلىٰ هذا فيجب أن نعلم: أن الله لم يخلقنا ويرزقنا لغير حكمة ولغير غاية منشودة ومطلوبة، إذ إن العاقل من المخلوقين يتنزه أن يعمل عملاً لغير حكمة منشودة في ذلك العمل فكيف بجبار السموات والأرض؟!

---

(١) أخرجه مسلم (٨٣٢).

إن الله خلق هذا الكون سمائه وأرضه وجباله وبحاره، وما فيه من شمس وقمر وليلٍ ونهار، وخلق العوالم الثلاثة كل ذلك خلقه لحكمة أرادها، فجعل الملائكة عالم كله خير يأمرهم بما أراد من سياسة هذا الكون، وقد جعل لكل شيء في هذا الكون ملائكة، ملائكة للبحار، وملائكة للريح وخزنها وإرسالها، وملائكة للسحاب، وملائكة للجنة، وملائكة للنار، وملائكة للأرحام، وملائكة الموت، إلىٰ غير ذلك.

وجعل الجن والإنس مؤهلين للخير والشر، والطاعة والمعصية، ابتلاهم بذلك حكمة منه I خلقهم للعبادة، وسلط عليهم الشياطين، وزين لهم الدنيا، فمنهم من أطاعه، ومنهم من عصاه، والطاعة لا تكون طاعة إلا إذا كانت خالصة لله وتابعة لما بينه الله في كتابه وعلمَّه الرسولﷺ أمته.

فالأمم التي مضت كل أمة لها رسول أرسل إليها، وختَم الرسل بمحمدٍﷺ أرسله الله إلىٰ هذه الأمة يدعوهم إلىٰ عبادة الله وحده، ويحذرهم من عبادة غيره؛ فمن أطاع هذا الرسولﷺ فاز بخيري الدنيا والآخرة، ومن عصاه لقي العذاب الأليم.

ولنتأمل ما هو السبب في إهلاك الأمم التي هلكت؟ أليس عصيانهم لرسلهم، نقول: بلىٰ هو عصيانهم لرسلهم، فما أهلك الله قوم نوح إلا بسبب عصيانهم لرسولهم نوحًا u ، وما أهلك الله قوم عاد إلا بذلك، وكذلك قوم ثمود؛ أي: قوم صالح، ومن بعدهم من الأمم، فرعون وقومه، ومدين الذين أُرسل إليهم شعيبٌ، وقَومَ لوطٍ، وكم من أممٍ هلكت ولم نعلم عنها، وما أخبرنا الله إلا عن عدد قليل من الرسل.

الثانية: أن الله لا يرضىٰ أن يشرك معه في عبادته أحد لا ملك مقرب ولا نبي مرسل.

والدليل: قوله تعالىٰ: ﴿ G H I J K L M N ﴾ [الجن:١٨][١].

إذا علمنا أن سبب هلاك الأمم هو عصيانهم لرسلهم؛ فإن الواجب علينا أن نطيع رسولنا فيما أمرنا به من عبادة الله وحده، ولنعلم علم اليقين أن الله ما خلقنا ورزقنا إلا لنعبده وحده لا شريك له، فمن عبد غيره فقد أتىٰ بالذنب الذي لا يغفر واستوجب الخلود في النار وتحريم الجنة عليه.

قال تعالىٰ: ﴿ r s t u v w x y z { | } ~ ۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ﴾ [النساء:٤٨].

وقال علىٰ لسان عيسىٰ **u**: ﴿ C D E F G H I J K L M N O P Q R S T V W X Y ﴾ [المائدة:٧٢].

[١] **الثانية:** يجب أن نعلم أن الله لا يرضىٰ أن يشرك معه في عبادته أحد لا ملك مقرب ولا نبي مرسل، فلا يجوز لأحد من الناس أن يدعو أحدًا من دون الله مهما ارتفع مقامه عند ربه وعلت مرتبته عنده، وإن أعظم المخلوقين مرتبة عند الله هما:

١ - جبريل من الملائكة -عليه الصلاة والسلام-.

٢ - ومحمد من بني آدم -عليه الصلاة والسلام-.

فمن دعا واحدًا منهما أو دعا غيره فإنه يعتبر قد أشرك بالله شركًا أكبر موجبًا للخلود في النار.

ولهذا قال المؤلف : **(الثانية: أن الله لا يرضىٰ أن يشرك معه في عبادته أحد لا ملك مقرب ولا نبي مرسل).**

وقد مثلنا الملك للملك المقرب بجبريل u ، والنبي المرسل بمحمدٍ ﷺ، وأن الله T لا يرضىٰ أن يدعىٰ أحد من هؤلاء ولا غيرهم، والأدلة علىٰ ذلك من كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ لا تحصىٰ.

ومن ذلك: قوله تعالىٰ: ﴿ G H I J K L M N ﴾ [الجن:١٨] يصح أن نقول: أن المساجد هي أعضاء السجود السبعة وأولها الجبهة، وكذلك اليدين والركبتين وأطراف القدمين، ويصح أن نقول: أن المساجد هي المساجد المبنية التي بنيت لعبادة الله، هذه المساجد مبنية علىٰ الأرض، من الذي خلق الأرض التي تسجد عليها؟ لا شك أنه الله T ؛ فلا يجوز لك أن تسجد عليها لغيره، لأنك إذا فعلت استعملت ملكه في عبادة غيره، ويصح أن تفسر بالأعضاء التي خلقها الله فيك.

فتبين أن المساجد يصح أن تفسر بالأعضاء والله هو الذي خلقها فيك فلا يجوز لك أن تسجد بها لغيره؛ لأنك إذا فعلت ذلك تكون قد استعملت خلقه في عبادة غيره، ويصح أن تفسر بالمساجد المعروفة؛ فلا يجوز لك أن تسجد فيها لغير الله.

~ õ õ õ ™

الثالثة: أن من أطاع الرسول ووحد الله فلا يجوز له موالاة من حاد الله ورسوله، والدليل قوله تعالىٰ: ﴿! " # $ % & ' ( ) * + , - . / 0 1 2 3 4 5 | ; : 9 8 7 < = > | @ A B C | G F E D I J K L M | O P Q S T U V | X W﴾ [المجادلة:٢٢] [١].

---

[١] الثالثة: **أن من أطاع الرسول ووحد الله، فلا يجوز له موالاة من حاد الله ورسوله، والدليل قوله تعالىٰ:** ﴿! " # $ % & ' ( ) * + , - . / 0 1 2 3 4 5﴾ [المجادلة:٢٢].

فمن أشرك بالله فقد حاد الله ورسوله، ومن أقر الشرك وأجازه فقد حاد الله ورسوله.

ولنتذكر هنا أن بعض مؤسسي المناهج الدعوية عمل الشرك بنفسه وأقره وأجازه من غيره، ولنضرب مثلًا: $حسن البنا**# كان يقول في حفل المولد في الليالي الأولىٰ من ربيع الأول:**

هذا الْحَبيب مع الأحباب قد حضرا وسامح الكلَّ فيما قد مضىٰ وجرىٰ

نقل هذا أخوه عبد الرحمن البنا في كتاب $أحداث صنعت التاريخ#.

إذن؛ فلا يجوز لنا أن نتخذه إمامًا؛ لأنه زعم أن رسول الله يحضر حفلهم ويغفر ذنوبهم، وهكذا غيره من أهل منهجه الذين وقع منهم الشرك أوأقروا غيرهم عليه، مع أنه قد حاضر في وكر من أكبر أوكار الشرك وهو (مشهد السيدة زينب)، ولـم ينطق بكلمة ولا حرف في النهي عن الشرك بالله.

وعمر التلمساني يقول: $ليس في دعوة الصالحين شرك ولا وثنية، بل هي تذوق...# إلىٰ غير ذلك مما أُثر عن هؤلاء القوم.

وكذلك مؤسس منهج التبليغ: كان يدين بأربع طرق من الطرق الصوفية، وكان يرابط عند بعض القبور راجيًا للفيوضات التي تنزل عليه من أهلها.

أما السرورية والقطبية: فهم يحبون المشركين ويبغضون الموحدين، علمًا بأن سيد قطب قد حصل منه فواقر؛ فقد كفر أمة محمدﷺ وهو يعلم علم اليقين عن الدولة السعودية أنها دولة موحدة وأهلها كلهم سنيون، فنجده يقول في مقدمة سورة الحجر من $الظلال#: $إنه لا يوجد اليوم علىٰ وجه الأرض مجتمع مسلم ولا دولة مسلمة قاعدة التعامل فيها علىٰ مقتضىٰ شريعة الله#. اهـ

فهل يجوز لنا أن نتولىٰ هؤلاء القوم أو أن نسير في ركابهم ونأخذ بما هم عليه من الحزبيات حاشىٰ لله، والله ﷻ يقول: ﴿ ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / 0 1 2 3 4 5 7 8 9 : ; < = > @ A B C D E F G I J K L M O P Q S T U V W X ﴾ [المجادلة:٢٢].

فهذه دعوة الأنبياء التي أرسل الله بها محمدًاﷺ، وأرسلت بها جميع الرسل كما يقول اللهﷻ: ﴿ ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / ﴾ [الأنبياء:٢٥]، وقال تعالىٰ: ﴿ D E F G H I J K L M N ﴾ [النحل:٣٦].

وقد فسر الطاغوت: بأنه ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع، وإذا فكرت في حال أولئك المتبوعين، وجدتَ أنهم أطيعوا في معصية الله وأباحوا الشرك والبدع فتوبعوا عليها(١).

* * *

(١) علمًا بأن المحادة التي عندهم ليست محادة كلية، بل هي محادة جزئية غالبًا، وقد توجد المحادة الكلية عند من أشرك بالله شركًا أكبر أورضي بالشرك الأكبر وأقر عليه، وعلىٰ هذا فالمحادة الكلية توجب الكفر المخرج من الملة لقول الله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ © عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الزمر:٦٥]، ولما ذكر الله الأنبياء في سورة الأنعام قال: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام:٨٨]، أما من كان منهم محادته بالبدع وترك السنة فإن محادته جزئية موجبة للفسق فقط وهو باق علىٰ السلامة، وبالله التوفيق.

اعلم -أرشدك الله لطاعته- أن الحنيفية ملة إبراهيم، أن نعبد الله وحده مخلصين له الدين[١].

---

[١] قوله: (اعلم أرشدك الله لطاعته) كلمة (اعلم) للتنبيه، ثم دعا لك بالرشد أن يرشدك الله لطاعته ويوفقك لها.

قوله: (أن الحنيفية ملة إبراهيم) الحنيفية هي: دين الحق، وهو التوحيد؛ قال تعالىٰ: ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن © حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [آل عمران:٦٧]. ومعنىٰ حنيفًا: أي: مائلًا عن الشرك إلىٰ التوحيد، وعن المعصية إلىٰ الطاعة، وعن الفجور إلىٰ البر، وعن البدعة إلىٰ السنة.

ويقول -جل من قائل-: ﴿U V W X Y Z [\ ] ^ _ ` a﴾ [النحل:١٢٣] -صلوات الله وسلامه علىٰ نبيه وخليله إبراهيم ومحمد صلوات الله وسلامه عليهما- لقد سلكا سبيل الحق والرشد وهو إفراد الله بالعبادة ودعوا إلىٰ ذلك أمتيهما، وقد أمرنا باتباعهما في ذلك؛ لأن ذلك هو الأمر الذي خلقت الجن والإنس من أجله.

وقد أخبرنا الله T أنه ما خلق الجن والإنس إلا للعبادة، لم يخلقهما للهو ولا للعب، ولكن كثير من الجن والإنس عملوا بغير ما أمروا به فسلكوا غير طريق الحق الذي رسم لهم، واستحقوا بذلك غضب الله ومقته وعقوبته.

أما من اتبع ملة إبراهيم ومحمدًا -صلىٰ الله عليهما وسلم- فوحد الله بعبادته؛ فإنه ولو أذنب ولو قارف المعاصي الكبائر فإنه يرجو من الله الخلاص إلىٰ الجنة، وقد دلت النصوص علىٰ أن أقوامًا من الموحدين يخرجون من النار وقد صاروا حُممًا فيوضعون علىٰ نهر الحياة فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل[(١)].

---

(١) أخرجه البخاري (٨٠٦)، ومسلم (١٨٢) من حديث أبي هريرة t .

وبذلك أمر الله جميع الناس وخلقهم لها، كما قال تعالىٰ: ﴿ C D E F G H ﴾ [الذاريات:٥٦].

ومعنىٰ يعبدون: أي: يوحدون.

وأعظم ما أمر الله به: التوحيد وهو إفراد الله بالعبادة، وأعظم ما نهىٰ عنه: الشرك وهو دعوة غيره معه [١].

---

[١] فالشرك الأكبر: محبط للعمل موجب للخلود في النار، قال تعالىٰ علىٰ لسان عيسىٰ بن مريم: ﴿ C D E F G H I J K L M N O P Q R S T V W X Y ﴾ [المائدة:٧٢]، **وقال تعالىٰ:** ﴿ r s t u v w x y z { | } ~ ﴾ [النساء:٤٨]، **وقال -جلَّ من قائل-:** ﴿ ! " # $ % & ' ( ) * + ﴾ [الأنعام:٨٢].

وقد اهتم أصحاب رسول الله ﷺ لهذه الآية فقالوا: يا رسول الله، أيُّنا لم يظلم نفسه؟ فقال النبي ﷺ: $إنه ليس الذي تذهبون إليه، وإنما المراد بالظلم الشرك، ألم تسمعوا إلىٰ قول لقمان لابنه: ﴿ < = > ? A B C D ﴾[1] [لقمان:١٣]#. **وفي رواية :** $ليس هو كما تظنون إنما هو كما قال لقمان لابنه: ﴿ < = > ? A B C D ﴾#.

ومعنىٰ يعبدون: **يوحدون؛ لأن الله ﷻ لا يقبل العبادة إلا بالتوحيد، كما أن الصلاة لا تكون صلاة إلا بطهارة فكذلك العبادة لا تكون عبادة إلا بالتوحيد، وقد جاء في الحديث عن النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه أنه قال:** $أنا أغنىٰ الشركاء عن

---

(١) أخرجه البخاري (٣٣٦٠)، ومسلم (١٢٤) من حديث عبد الله بن مسعود t .

الشرك من عمل عملاً أشرك معي فيه غيري تركته وشركه#[١].

فالشرك: **نجاسة للقلوب ينجسها ويحبط العبادة جميعًا سواء جاءت من القلب أو من اللسان أو من الجوارح؛ ولهذا قال الله لنبيه: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾** [المدثر:٤-٥].

ومن هنا نعلم أن المشرك مهما تقرب إلىٰ الله من عبادة فهي باطلة وحابطة لا يقبل الله منها شيئًا ما دامت ممزوجة بالشرك، وبالله التوفيق.

~ õ õ õ ™

(١) أخرجه مسلم (٢٩٨٥) من حديث أبي هريرة t .

والدليل: قوله تعالىٰ: ﴿ l k j i h g ﴾ [النساء:٣٦][١].

فإذا قيل لك: ما الأصول الثلاثة التي يجب علىٰ الإنسان معرفتها؟

فقل: معرفة العبد ربه، ودينه، ونبيه محمدﷺ[٢].

---

[١] قال الله -تبارك وتعالىٰ-: ﴿ l k j i h g f ﴾ [النساء:٣٦]، فهذه الآية: اشتملت علىٰ أعظم أمر وعلىٰ أعظم نهي، فأعظم الأمر هو التوحيد، وأعظم النهي هو الشرك الأكبر المخرج من الملة.

[٢] لقد أجمل المؤلف الأصول الثلاثة في هذه الكلمات: معرفة العبد ربه بأن يعرفه بأسمائه الحسنىٰ وصفاته العليا، وكمالاته التي لا يعتريها نقص، ودوامه الذي لم يطرأ عليه حدوث، وبقائه الذي لا يطرأ عليه فناء.

قال الله تعالىٰ: ﴿O P Q R S T U V W X Y ﴾ [الرحمن:٢٦-٢٧].

وسيلم المؤلف بتفاصيل هذه الثلاثة الأصول: **معرفة العبد ربه، ومعرفته دينه، ومعرفته نبيه محمدًاﷺ.**

وهذه الثلاثة الأصول هي التي يبنىٰ عليها الدين كله، فلا يدخل العبد إلىٰ الإسلام إلا بالشهادتين: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، ولا يقبل له أذان إلا بهاتين الشهادتين، ولا تصح له صلاة إلا بهاتين الشهادتين، ولا يسأل في قبره إلا عن ربه ودينه ونبيه، ولا يسأل يوم القيامة عند البعث والنشور لا يسأل إلا عن هذه الأصول، ولا يقبل عمله إلا بها، ولا يثقل ميزانه إلا بها، ولا يمر علىٰ الصراط وينجو من النار ولا يدخل الجنة إلا بها؛ ولهذا فإنه ينبغي الاعتناء بهذه الأصول الثلاثة والتعلم بها وإتقان معرفتها ليكون العبد من الناجين يوم القيامة وبالله التوفيق.

فإذا قيل: لك من ربك؟

فقل: ربي الله الذي رباني وربىٰ جميع العالمين بنعمه، وهو معبودي ليس لي معبود سواه.

والدليل: قوله تعالىٰ: ﴿ & ') (﴾ [الفاتحة:٢].

وكل ما سوىٰ الله عالـم، وأنا واحد من ذلك العَالَم[١].

فإذا قيل لك: بما عرفت ربك؟ فقل: بآياته ومخلوقاته [٢].

---

[١] **قوله: (إذا قيل لك: من ربك ؟ فقل: ربي الله): هذا تعليم من الشيخ -رحمه الله تعالىٰ-؛ لأنه ربما سئل وربما حاك هذا السؤال في القلب لأن هذا ليس بالأمر اليسير بل هو الأصل الذي عليه مدار الحياة الأولىٰ والأخرىٰ، فلا بد أن تعرف من هو ربك، وإذا كنت لا تعرف فهذا شيخ الإسلام يلقنك بأنك إذا سئلت من ربك؟ أي: سئلت هذا السؤال تجيبه بقولك: (ربي الله الذي رباني وربىٰ جميع العالمين بنعمه).**

العالمين: **جمع، وكل جنس من المخلوقات عالم، فعالم الإنسان، وعالم الجن، وعالم الإبل، وعالـم الجنس من الطيور، كل جنس منها عالـم، وحتىٰ عالـم الذر والنمل والذباب، كل هذه عوالـم، وأنت واحد يا عبد الله من أحد تلك العوالم، وكل هذه العوالم الموجودة علىٰ وجه الأرض كلها تسترزق اللهT فهو الذي خلقها وهو الذي يرزقها بأن يوصل إليها أرزاقها.**

قال تعالىٰ: ﴿ & ') (﴾ وكل ما سوىٰ الله من المخلوقات عوالـم كما بينا سابقًا، وكل جنس من المخلوقات عالم.

[٢] وأقول: **الآيات تنقسم إلىٰ قسمين:**

آيات كونية، وهي ما ذكره المؤلف : .

ومن آياته: الليل والنهار، والشمس والقمر[١].

[١] وآيات قرآنية، وهي آيات القرآن.

فأما الآيات الكونية: **فهي الليل والنهار، قال الله T:** ﴿ W V U T f e d c b a ` _ ^] \ [Z Y g i j k l ﴾ [الإسراء:١٢]، **وكذلك الشمس والقمر هما آيتان أيضا من آيات الله T الكونية.**

وقد عرف المعافى النهرواني في كتابه (الجليس) الآية بقوله: **هي العلامة الفاصلة، وهي الأعجوبة الحاصلة، وهي البلية النازلة، هذا من حيث تعريف الآية، فمثال العلامة الفاصلة:** ﴿ © أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴾ [مريم:١٠].

وأما كونها الأعجوبة الحاصلة، فهي الأمر العجيب الذي فيه العبرة كقوله تعالىٰ: ﴿ \ [^ _ ﴾ [الشعراء:٨].

قوله: **وهي البلية النازلة: أي: العقوبة المفاجئة، قال ﷺ:** $وأعوذ بك من زوال نعمتك، وتحول عافيتك، وفجاءة نقمتك، وجميع سخطك#[1] **لأنها تدل علىٰ قوة المنتقم، ومن ذلك قوله:** ﴿ b c d ﴾ [القمر:١٥]، **والآية من القرآن جمعت المعاني الثلاثة لدلالتها وفصلها وإبانتها.**

~ õ õ õ ™

(١) أخرجه مسلم (٢٧٣٩) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

ومن مخلوقاته: السموات السبع، والأرضون السبع وما فيهن، وما بينهما، والدليل: قوله تعالىٰ: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ۝ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ ´ µ ¶ ¸ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [فصلت:٣٧].

وقوله تعالىٰ: ﴿U V W X Y Z [\ ] ^ _ ` a b c d e f g h i j k l v u t s r q p o n﴾ [الأعراف:٥٤] **[١].**

والرب هو المعبود [٢].

---

[١] ومن مخلوقاته: ما جاء في قوله تعالىٰ: ﴿U V W X Y Z [\ ] ^ _ ` a b c d e﴾ **إلىٰ الآية قوله:** ﴿v u t s﴾ **[الأعراف:٥٤].**

[٢] (والرب هو المعبود)؛ أي: هو المستحق للعبادة؛ لأنه هو الذي خلق ورزق وأعطىٰ كل مخلوق ما يصلح له، وكان ينبغي أن يقول الشيخ : (والرب هو المعبود بحق)؛ لأن المعبودات بغير حق كثيرة، ولست مستدركًا علىٰ الشيخ ، ولكن يتبين من هذا أن أعمال العباد مهما جلت وكثرت فإن النقص يلازمها؛ لأن كلمة: (الرب هو المعبود) يمكن أن يقع علىٰ المعبود بحق والمعبود بغير حق، وإذا احترز القائل وقال: الرب هو المعبود بحق فإنه يسد الباب علىٰ الخرافيين.

والدليل: قوله تعالىٰ: ﴿ t s r q p o n m l
u z y x w v { | } ~ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخۡرَجَ
بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا ۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾ [البقرة:٢١-٢٢].

قال ابن كثير: الخالق لهذه الأشياء هو المستحق للعبادة. [١]

وأنواع العبادة التي أمر الله بها مثل: الإسلام، والإيمان، والإحسان، ومنه الدعاء[٢].

---

[١] قال اللهT: ﴿ l m n o p q r s t u
v ﴾ [البقرة:٢١]؛ أي: خلقكم وخلق الذين من قبلكم ﴿ u v ﴾، و(لعل) من الله واجبة الوقوع، كما يقال فمن عبد اللهT عبادة مبنية علىٰ الإيمان به أحدث له ذلك في نفسه التقوىٰ والخوف من اللهT.

قوله: ﴿ x y z { | } ~ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخۡرَجَ بِهِۦ
مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا ۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾ [البقرة:٢٢]؛ أي: أنه هو الذي استقل بخلق ما ترون خلق الأرض التي تحتكم، وجعلها الله فراشًا لكم، والسماء التي فوقكم بناها وسواها بغير عمد، وأنزل من السماء ماء فأخرج به أزواجا من نبات شتىٰ أشجار لا ثمر فيها هي رزق للبهائم، وأشجار فيها ثمر هي رزق للبهائم وبني آدم، كلها تنبت في أرض واحدة، وتسقىٰ من ماء واحد، وتختلف ثمراتها، وذلك يدل علىٰ قدرة الصانع -جل وعلا-.

[٢] أما الدعاء؛ فهو جائز للمخلوق الحي فيما يقدر عليه، وغير جائز فيما لا يقدر عليه إلا الله، فلو قلنا: يا فلان، أنزل لنا مطرًا، لكان هذا الدعاء محرم وكفر مخرج من الملة.

والخوف[١].

وفي الحديث: $الدعاء مخ العبادة#[١].

والدليل: قوله تعالىٰ: ﴿ - . / 0 1 3 4 5 6 7 8 9 : ﴾[غافر:٦٠].

أما لو قلت: **يا فلان، أعطني المسحات أو القدر أو الفأس لأنتفع بهذه الحاجة وأردها، فإن هذا جائز لا شيء فيه.**

وإذن؛ فقد عرفنا من خلال هذا أن الدعاء ينقسم إلىٰ قسمين:

١ - دعاء للمخلوق فيما يقدر عليه، فهذا جائز.

٢ - دعاء للمخلوق فيما لا يقدر عليه إلا الله، فهذا ممنوع.

[١] كما أن الخوف ينقسم إلىٰ قسمين:

١ - خوف طبيعي، كخوف الإنسان من الحية، وخوفه من العدو، فهذا لا شيء عليه فيه ولا يكون من العبادة.

٢ - والخوف من المخلوق فيما لا يقدر عليه إلا الله، كمخافة بعض الناس ممن يزعمون أن لهم الولاية، ويزعمون أنهم يطلعون علىٰ الغيب، وأنهم يقدرون علىٰ أن ينزل بك كارثة، فهذا الخوف شرك مخرج من الملة، وهو الذي يسمىٰ خوف السر.

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٣٧١) من حديث أنس بن مالك t ، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٣٠٠٣).

قال الشيخ النجمي : $والحديث قد صح من حديث النعمان بن بشير بلفظ: **$الدعاء هو العبادة#** مع أن هذا الحديث -حديث أنس- والذي جاء من طريق ابن لهيعة لا يخالف الحديث الصحيح؛ لأن كلمة هو العبادة -أي خلاصتها-، كما أن المُخ هو الخلاصة فلا تنافي بين الحديثين، وبالله التوفيق. اهـ

والرجاء[١]، والتوكل، والرغبة، والرهبة، والخشوع، والخشية، والإنابة، والاستعانة، والاستعاذة، والاستغاثة، والذبح، والنذر [٢] وغير ذلك من أنواع العبادة التي أمر الله بها كلها لله تعالىٰ.

---

[١] وهكذا الرجاء كأن ترجو من المخلوق أن يقرضك مالًا، أو ينفعك فيما يستطيع عليه، فهذا جائز، أما أن ترجوه في أمر من الأمور التي لا يقدر عليها إلا الله كشفاء المرض، وصرف العاهة، وإنزال الغيث، والنصر علىٰ الأعداء فهذا الرجاء للمخلوق مُحَرَّمٌ بل شرك أكبر؛ لأن هذا من صفات الألوهية التي لا يتصف بها أحد غير الله ﷻ، وهكذا يقال في جميع هذه الأشياء من التوكل، والرغبة، والرهبة، وغيرها، ويستثنىٰ من ذلك الخشوع.

[٢] والذبح والنذر فإنه لا يجوز للمخلوق بحال، والمقصود بالذبح: العبادة.

أما الذبح للمأكل، وإكرام الضيف، وللتكسب كالجزار، فهذا جائز والحمد لله.

والذبح لغير الله: **هو إراقة الدم لغير مَن خلقه، كأن تُريقَ الدمَ في الدابة لغير خالقها -وهو الله- تريد من هذا المخلوق مالا يقدر عليه إلا الله كإعطاء الولد، وإنزال المطر وغير ذلك.**

أما النذر: **فلا يجوز لأحد أن ينذر لغير الله تعالىٰ، وقد استدل علىٰ ذلك كله في قوله: ﴿G H I J K L M N﴾ فمن صرف منها شيئًا لغير الله فهو مشرك كافر، والمراد به الأشياء الممنوعة علىٰ حسب التقسيم الذي سبرناه سابقًا.**

قال تعالىٰ ﴿¶ ¸ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المؤمنون:١١٧].

ثم أتىٰ بالأدلة علىٰ ذلك، وبالله التوفيق.

والدليل قوله تعالىٰ: ﴿ G H I J K L M N ﴾ [الجن:١٨].

فمن صرف منها شيئًا لغير الله فهو مشرك كافر، والدليل: قوله تعالىٰ: ﴿ ¶ · مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَـٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾ [المؤمنون:١١٧]. ودليل الخوف: قوله تعالىٰ: ﴿ 7 8 9 : ; < > ﴾ [آل عمران:١٧٥]. ودليل الرجاء: قوله تعالىٰ: ﴿ â كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ ç è é ê ë بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾ [الكهف:١١٠]. ودليل التوكل قوله تعالىٰ: ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [المائدة:٢٣]، وقوله: ﴿ w x y z { | ﴾ [الطلاق:٣]. ودليل الرغبة، والرهبة، والخشوع: قوله تعالىٰ: ﴿ · كَانُوا۟ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَـٰشِعِينَ ﴾ [الأنبياء:٩٠]. ودليل الخشية: قوله تعالىٰ: ﴿ G H I ﴾ [المائدة:٣]. ودليل الإنابة: قوله تعالىٰ: ﴿ وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ ﴾ [الزمر:٥٤]. ودليل الاستعانة: قوله تعالىٰ: ﴿ 2 3 4 5 ﴾ [الفاتحة:٥]. وفي الحديث: $إذا استعنت فاستعن بالله#[1]. ودليل الاستعاذة: قوله تعالىٰ: ﴿ 4 5 6 7 ﴾ [الفلق:١]، و﴿ P Q R S ﴾ [الناس:١]. ودليل الاستغاثة[١] قوله تعالىٰ: ﴿ ! " # $ % & ' ( ) * + ﴾ [الأنفال:٩].

---

[١] والله I قد أخبرنا بأن الاستغاثة بالمخلوق فيما يقدر عليه جائز كما في قوله تعالىٰ: ﴿ ? @ A B C D E F G H I J ﴾ [القصص:١٥]. أما الاستغاثة بالمخلوق فيما لا يقدر عليه إلا الله فهي حرام بل وشرك أكبر؛ قال تعالىٰ: ﴿ ! " # $ % & ' ( ) * + ﴾ [الأنفال:٩] وما أشبه ذلك.

---

(١) تقدم تخريجه (ص٤٢).

ودليل الذبح: قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي ۝ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ لَا شَرِيكَ لَهُۥ﴾ [الأنعام:١٦٢-١٦٣].

ومن السنة: $لعن الله من ذبح لغير الله#[1].

ودليل النذر: قوله تعالىٰ: ﴿ (* + , - . / ﴾ [الإنسان:٧].

ودليل الخوف: قوله تعالىٰ: ﴿7 8 9 : ; > ﴾ [آل عمران:١٧٥] [١].

---

[١] **قوله:** $ودليل الخوف: قوله تعالىٰ: ﴿7 8 9 : ; > ﴾ [آل عمران:١٧٥]#.

سبق أن قلنا: **إنَّ الخوف منه طبيعي ومنه خوف عبادة، فالطبيعي كأن يخاف الإنسان الحية، أو يخاف الأسد، أو يخاف العدو، أو ما أشبه ذلك فهذا خوف طبيعي ليس له دخل في العبادة إلا أنه إذا أسرف فيه ربما أنه يحصل منه ضررٌ عليه، أما كونه يكون شركًا فلا.**

والخوف الذي هو من العبادة: **أن تخاف من مخلوق بأن يفعل فيك شيئًا لا يقدر عليه إلا الله كالتأثير في الرزق وما أشبه ذلك والله تعالىٰ يقول:** ﴿7 8 9 : ; > ﴾ [آل عمران:١٧٥]؛ **أي: لا تخافوا العدو فأنا أنصركم عليهم، وذلك أن بعض الناس يعتقد في الشخص الفلاني أن له سلطانًا غيبيًّا يدرك به الذين يتكلمون فيه ويعمل بهم ما يعمله من الإيذاء.**

وقد علمنا أن الخوف ينقسم إلىٰ قسمين:

١ - خوف عبادة.

---

(١) تقدم تخريجه (ص٤٣).

٢ - خوف طبيعي من العدو الظاهر وأن المحرم هو خوف العبادة.

أما قوله: ودليل الرجاء قوله تعالىٰ: ﴿â كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ ç è é ê ë بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ Î﴾ [الكهف:١١٠].

الرجاء ينقسم إلىٰ قسمين:

١ - مباح: وهو أن ترجو من المخلوق أن يعطيك قرضًا مثلًا لتتغلب به علىٰ أزمة مالية عندك هذا لا شيء فيه.

٢ - لكن الرجاء الممنوع هو: أن ترجوه فيما لا يقدر عليه إلا الله من شفاء المرض، وإنزال المطر، ورفع العاهة، وإعطاء الولد، وما أشبه ذلك.

أما معنىٰ الآية: ﴿â كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ﴾؛ أي: أن يؤمن بلقائه بعد الموت ﴿ç è é﴾ ومعنىٰ كونه صالحًا: أن يكون خالصا لله وصوابًا علىٰ ما شرعه رسول الله ﷺ.

وهكذا يقال في التوكل؛ فإذا قلت للإنسان: أنا متوكل علىٰ الله ثم عليك في هذا الأمر، وكان ذلك الأمر مما يقدر عليه البشر؛ فإن ذلك جائز.

أما التوكل: وهو الاعتماد القلبي علىٰ المخلوق فيما لا يقدر عليه إلا الله فهذا لا يجوز إلا لله، فإن حصل من العبد في أمور يقدر عليها العباد فليقل: إني متوكل علىٰ الله ثم عليك في قضاء هذه الحاجة، بأن تجعله مرتبًا بعد الله بـ: (ثم) وبدون ذلك لا يجوز؛ لأنه تشريك في التوكل، فالتوكل علىٰ المخلوق لابد أن يكون مقيدًا بما يستطيعه العبد وفي حاجة بعينها، أما إطلاق التوكل فلا يجوز ولا ينبغي أن يحصل إلا لله T.

ودليل الرغبة والرهبة والخشوع: قوله تعالىٰ: ﴿ , كَانُوا۟ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَـٰشِعِينَ ﴾ [الأنبياء:٩٠].

فهذه الأمور منها ما هو جائز كأن تقول: أنا راغب إليك أن تزوجني ابنتك، أو راغب إليك أن تعطيني كذا مما يقدر عليه فهذا جائز، لكن الرغبة إلىٰ المخلوق فيما لا يقدر عليه إلا الخالق، وكذلك الرهبة منه فيما لا يقدر علىٰ فعله إلا الخالق فهذا هو المحرم.

وكذلك الخشوع: وهو الخضوع للمخلوق، خضوع يشعر بأنك تخاف منه أن يفعل بك ما لا يقدر عليه إلا الله، ويتنافىٰ مع حرية المسلم واستعلائه علىٰ الأسباب المادية، فهذا لا يجوز إلا لله ﷻ وحتىٰ في الصورة.

فلو قبلت ركبة شخص أو يده إذا كان ذلك مما يشعر بتباين الطبقات فإن هذا لا يجوز، أما إذا كان من ابن إلىٰ أبيه أو عمه أو خاله أو جده فهذا ليس فيه شيء، لأنه لا يشعر برفعة طبقة علىٰ طبقة.

وكذلك يقال في الاستعانة: فهي تجوز فيما يقدر عليه الإنسان، وتمنع الاستعانة فيما يكون من خصائص الله مع أن الاستعانة بغير الله؛ أي: بالمخلوق فيما يقدر عليه هذه ينبغي أن تكون مقيدة بمشيئة اللهﷻ ومرتبة بأن تقول: أستعين بالله ثم بك في الحاجة الفلانية.

كذلك الخشية أيضًا: الخشية من المخلوق الذي له سلطة ويخاف منه وممن تحت يده من أن يؤذيه بأذىٰ، هذا لا يكون شركًا، ولكن الخشية من المخلوق فيما لا يقدر عليه إلا الله سبحانه هذه هي التي تكون من الشرك المخرج من الملة، والله ﷻ يقول: ﴿G H I ﴾ [المائدة:٣]، كقوله تعالىٰ: ﴿7 8 9 ﴾ [آل عمران:١٧٥].

أما الإنابة: فلا تجوز إلا لله ، ومعنىٰ الإنابة: الرجوع، والتوبة من الذنوب.

أما الذبح: فكل ذبح يقصد به التقرب إلىٰ من سفك له الدم؛ فهذا يعتبر شركًا أكبر، ومن ذلك ما يجري بين القبائل أو الأشخاص فإذا حصل بينهم شيء قالوا: نذهب إلىٰ فلان، وتكون معنا ذبائح نرضي بها القوم فيصلون إلىٰ فناء الدار، ويذبحون تلك الذبائح إرضاء لأولئك القوم ويجلسون عليها حتىٰ يأتي أولئك القوم الذين ذبح من أجلهم فيقولون: عفونا أو تجاوزنا، فهذا يدخل في الشرك ويسمىٰ عند أهل اليمن (عقير)، ويسمىٰ عند بعضهم (مراضي)؛ يعني: يرضون بها الخصم الذي صار عليه الغلط.

أما الذبح عند القبور، والأولياء، والنذور لهم: فهذا الأمر واضح -والحمد لله- أنه من الشرك الأكبر المخرج من الملة.

لكن إن ذبحت الذبيحة للضيف إكرامًا له فهذا أمر مباح، ومعلوم أن الذبح له أحكام متباينة؛ فمنه شرك أكبر مخرج من الملة كما سبق أن مثلنا له بالذبح علىٰ القبور الذبح للولي أو الجن، فيشترطون إذا كان للجن أن يكون علىٰ شعرة سوداء، هكذا يقولون.

والذبح منه ما يكون حرامًا لكنه غير شرك، كالذبح علىٰ المآتم، وكذلك الإسراف، ومنه ما هو مباح كالذبح للأكل يذبح الإنسان لنفسه ليأكل، أو الذبح للتجارة كذبح الجزار، وذبح أصحاب المنادي هذا كله جائز، ومن الذبح ما يكون واجبًا أو مسنونًا كذبح الهدي ودم الجزاء، فالذبح المذموم الذي يكون من الشرك والذي يقع علىٰ صاحبه اللعنة هو ما ذبح لغير الله بقصد التعبد.

وكذلك النذر: **لا يجوز النذر إلا لله ❙ فمن نذر لمخلوق بشيء ثم تاب قبل أن ينفذه فلا يلزمه تنفيذه؛ لقول النبي ﷺ:** $من نذر أن يطيع الله فليطعه، ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه#[1] **وبالله التوفيق.**

~ õ õ õ ™

(١) أخرجه البخاري (٦٦٩٦) من حديث عائشة رضي الله عنها.

الأصل الثاني: معرفة دين الإسلام بالأدلة [١]، هو الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة [٢]، والبراءة من الشرك وأهله[٣].

وهو ثلاث مراتب: الإسلام، والإيمان، والإحسان، وكل مرتبةٍ لها أركانٌ[٤].

---

[١] أقول: **هذا يلزم طلبة العلم، أما العوام فإنه يجوز أن يعلم أن هذا مباح وهذا محرم وهذا واجب ولو لـم يعرف الأدلة.**

وقد عرفوا الفقه في أصول الفقه: بأنه معرفة الأحكام الشرعية من أدلتها التفصيلية، فيقال: هذا الحكم حرام لهذا الدليل، وذلك الحكم فرض أو واجب بالدليل الفلاني، وذلك الحكم مستحب أو مكروه أو مباح بحسب الأدلة.

[٢] **قوله:** (هو الاستسلام)**: أي تعريف الإسلام هو:** (الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والخلوص من الشرك)**، هذا تعريف بكلمة الإسلام.**

ومعنىٰ (الاستسلام لله بالتوحيد)**: بأن تكون مستسلمًا منقادًا لأوامره ونواهيه مطيعًا لها.**

[٣] **قوله:** (والبراءة من الشرك وأهله)**؛ أي: بأن تصفي عقيدتك وأعمالك من الشرك علىٰ حد قوله تعالىٰ:** ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ [المدثر:٤]**، هذا التعريف هنا مناسب، والتعريف الآخر الذي فيه الولاء والبراء، فهذا التعريف شيء وذاك شيء، وكلها تدل إلىٰ معنىٰ واحد؛ فالخلوص من الشرك هو تصفية التوحيد، ولا يكون التوحيد صافيًا إلا بالبراءة من الشرك علىٰ حد قوله:** ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِاللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ﴾ [البقرة:٢٥٦].

[٤] **قال:** (وهو ثلاثة مراتب: الإسلام، والإيمان، والإحسان، وكل مرتبة لها أركان)**.**

أقول: **هذه ثلاث مراتب قد جمعها حديث جبريل الذي رواه عمر بن الخطاب -رضي الله تعالىٰ عنه-**[١].

فأما الإسلام: **فهو يتعلق بأمور الدين الظاهرة:**

أولها: **التلفظ بالشهادتين: شهادة أن لا إله إلا الله، وأنَّ محمدًا رسول الله،** E DCBA? > = < ; :98765 4 F.

˜ õ õ õ ™

(١) أخرجه مسلم (٨).

فأركان الإسلام خمسة: شهادة أن لا إله إلا الله، وأنَّ محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج بيت الله الحرام.

فدليل الشهادة قوله تعالىٰ: ﴿ 4 5 6 7 8 9 : ; < = > ? @ A B C D E F ﴾ [آل عمران:١٨].

ومعناها: لا معبود بحقٍّ إلا الله، $لا إله# نافيًا جميع ما يعبد من دون الله، $إلاَّ الله# مثبتًا العبادة لله وحده لا شريك له في عبادته كما لا شريك له في ملكه[١].

وتفسيرها الذي يوضحها؛ قوله تعالىٰ: ﴿ Q R S T U V W X Y Z [\ ] ^ _ ` a b c d e f g ﴾ [الزخرف:٢٨].

وقوله: ﴿ : ; < = > ? @ A B C D E F G H I J K L M N O P Q R T U V W X Y ﴾ [آل عمران:٦٤] [٢].

---

[١] **ومعناها: (لا معبود بحقٍّ إلا الله): (لا إله) نافيًا جميع ما يعبد من دون الله، (إلاَّ الله) مثبتًا العبادة لله وحده لا شريك له في عبادته كما لا شريك له في ملكه.**

[٢] **وتفسيرها الذي يوضحها؛ قوله تعالىٰ:** ﴿ Q R S T U V W X Y Z [\ ] ^ _ ` a b c d e f g ﴾.

وقوله: ﴿ : ; < = > ? @ A B C D E F G H I J K L M N O P Q R T U V W X Y ﴾.

الثاني: إقامة الصلاة: وهو فعلها بشرائطها، وأركانها، وواجباتها.

الثالث: إيتاء الزكاة: وهو الحق في المال، وقد قال أبو بكر: $والله لو منعوني عقالًا كانوا يؤدونه إلىٰ رسول اللهﷺ لقاتلتهم علىٰ منعه#[١].

وفي رواية: $والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة، فإن الزكاة حق المال، والله لو منعوني عناقًا كانوا يؤدونها إلىٰ رسول اللهﷺ لقاتلتهم علىٰ منعها#[٢].

الرابع: صوم رمضان؛ أي: صوم شهر رمضان.

الخامس: حج بيت الله الحرام؛ فهذه الأفعال الظاهرة هي أركان الإسلام، وقد أورد عليها المؤلف : الأدلة واحدًا واحدًا، فأورد الدليل علىٰ شهادة أن لا إله إلا الله قوله تعالىٰ: ﴿ 4 5 6 7 8 9 : ; < = > ? A B C D E F ﴾.

ومعنىٰ (لا إله إلا الله)؛ أي: لا معبود بحق إلا الله وحده، وكلمة (لا إله إلا الله) تتكون من نفي، وإثبات؛ فـ (لا إله) تنفي جميع الآلهة، و(إلاَّ الله) تثبت العبادة لله وحده لا شريك له.

وإن مما يتعلق بذلك: البراءة من الشرك وأهله التي قررها إبراهيم u في قوله تعالىٰ: ﴿ Q R S T U V W X Y Z [\ ] ^ _ ` a b c d e f g ﴾.

وقد كان أصحاب رسول اللهﷺ إذا أسلم أحدهم انفصل من أهله وقرابته انفصالًا كليًّا، فحققوا بذلك معنىٰ الولاء والبراء، وقد جاء في الحديث عن النبيﷺ

(١) أخرجه البخاري (٦٩٢٤).
(٢) أخرجه البخاري (١٤٠٠)، ومسلم (٢٠).

ودليل الشهادة أن محمدًا رسول الله: قوله تعالىٰ: ﴿ | { ~ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ © رَّحِيمٌ﴾ [التوبة:١٢٨] [١].

أنه قال: $أنا بريء من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين. قالوا: يا رسول الله، ولِمَ؟ ! قال: لا تراءىٰ ناراهما#(١)، وبالله التوفيق.

[١] قوله: ﴿ | { ~ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾؛ أي: من بني جنسكم لسانه لسانكم، وأحاسيسه أحاسيسكم، وهو منكم قلبًا وقالبًا، إلا أنه فضله الله بالرسالة واختاره لتحملها، وهذا الخطاب للعرب خاصة، وللناس عامة.

أما كونه للعرب: **فلأنه من أنفس العرب لسانه لسان العرب، وهم يعرفونه ويفهمونه كان قبل أن ينزل عليه القرآن أصدقهم لهجة وأعظمهم أمانة مع فقره وقلة ذات يده، عرف بالأمانة العظيمة، حتىٰ أن من يريد أن يودع شيئًا يأتي به إليه، وكانوا يقولون: محمد بن عبد الله الأمين، فلما جاءهم بهذه الدعوة كذبوه وعادوه وألصقوا به التهم؛ فتارة يقولون: كذاب، وتارة يقولون: ساحر، وتارة يقولون: كاهن، فصبر وصابر حتىٰ نصره الله عليهم، ودخل من بقي منهم في دينه، وبالأخص بعد أن فتحت عليه مكة، فجعل العرب ترسل كل قبيلة منهم ترسل وفدًا بإيمانهم، ولم يتوفاه الله حتىٰ أوعبت جزيرة العرب علىٰ اعتناق دينه -صلوات الله وسلامه عليه-.**

ومعنىٰ قوله: ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾؛ أي: عزيز عليه ما أعنتكم، أي: ما يشق عليكم فهو يهمه ويعز عليه.

---

(١) أخرجه أبو داود (٢٦٤٥) من حديث جرير بن عبد الله t ، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١٤٦١).

ومعنىٰ شهادة أنَّ محمدًا رسول الله: طاعته فيما أمر، وتصديقه فيما أخبر، واجتناب ما نهىٰ عنه وزجر، وألا يعبد الله إلاَّ بما شرع[١].

قال تعالىٰ: ﴿ r s t u v x y z { | } ~ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ هُوَ سَمَّىٰكُمُ © مِن قَبْلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا ´ µ ¶ فَأَقِيمُوا ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُوا بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ﴾ [الحج:٧٨]. وقال -جل من قائل-: ﴿ C D E F G H I J K M N O P Q R S ﴾ [آل عمران:١٤٤].

ومعنىٰ كونه حريص علىٰ أمته؛ أي:حريص علىٰ إيمانهم ومتابعتهم لما جاء به، حتىٰ أن الله عاتبه في شدة حرصه بقوله -جل من قائل-: ﴿ 4 5 6 7 8 9 : ; < = > ﴾ [الكهف:٦].

والمهم: أن شهادة أن محمدًا رسول الله هي الجزء الثاني من الشهادتين المكملة للتي قبلها، فشهادة أن لا إله إلا الله: شهادة لله بالوحدانية وحدانية الخلق؛ فهو متوحد بخلق هذا الكون، ورزق من فيه، وتدبيرهم، ومن ثَمَّ فإن الواجب توحده بالألوهية.

[١] وأما شهادة أن محمدًا رسول الله فمعناها: الشهادة للرسولﷺ أنه رسول من عند الله مكلف بنشر الشريعة التي حملها، وأمته مكلفة باعتقاد رسالته، وأنه لا يشرع إلا ما أمره الله بشرعه، ولا يقول إلا ما أمره الله بتبليغه؛ ومن ثَمَّ فإنه تجب طاعته فيما أمر، واجتناب ما نهىٰ عنه، عبد عبادة إلا أن تكون علىٰ شرعهﷺ، وهاتين الشهادتين هما القطبان الأساسيان للإسلام وهما الشرطان لقبول الأعمال؛ فلا يقبل عمل أي عبد إلا باعتقاد رسالة النبي محمدﷺ ووجوب متابعته وطاعته؛ قال تعالىٰ:

﴿ r s t u v w x y ﴾ [النساء:٦٤].

ودليل الصلاة والزكاة وتفسير التوحيد: قوله تعالىٰ: ﴿h i j k l m n o p q r s t u v w x﴾ [البينة:٥] [١].

ودليل الصيام: قوله تعالىٰ: ﴿3 4 5 6 7 8 9 : ; < = > ? @﴾ [البقرة:١٨٣] [٢].

ودليل الحج: قوله تعالىٰ: ﴿| { ~ ... ﴾ [آل عمران:٩٧] [٣].

---

[١] وأعظم ما أمر الله به من العبادات: الصلوات الخمس، وهي حق الله في البدن، وعلىٰ كل عبد أن يأتي بها ومن لـم يفعل فإنه لا دين له، وقد دلت الأدلة علىٰ كفر تارك الصلاة وأنه يقتل إذا دعي إليها ولـم يفعلها، فإنه يقتل كفرًا علىٰ قول كثير من أهل الأثر، وبه قال الإمام أحمد من أئمة المذاهب، ويقتل حدًّا علىٰ قول الجمهور أيضًا، وهو مذهب الشافعية والمالكية ورواية في المذهب الحنبلي.

فالصلاة: حق الله في البدن، والزكاة: حق الله في المال، والدليل علىٰ ذلك قول الله تعالىٰ: ﴿h i j k l m n o p q r s t u v w x﴾ [البينة:٥].

[٢] ودليل الصيام: قوله تعالىٰ: ﴿3 4 5 6 7 8 9 : ; < = > ? @﴾ [البقرة:١٨٣].

[٣] ودليل الحج: قوله تعالىٰ: ﴿| { ~ ...﴾ [آل عمران:٩٧].

والصيام والحج: هما الركنان المكملان لأركان الإسلام.

وبالله التوفيق.

المرتبة الثانية: الإيمان[١] .

[١] المرتبة الثانية: (الإيمان): أي المرتبة الثانية من مراتب الدين الثلاث.

والإيمان أخص من الإسلام؛ فإذا جمعا وقع اسم الإسلام علىٰ الأعمال الظاهرة، واسم الإيمان علىٰ العقائد الباطنة، وإذا ذكر واحد منهما شمل الآخر، إلا أن الإيمان أخص من الإسلام، والإسلام أعم من الإيمان.

قال الله تعالىٰ مخاطبًا الأعراب الذين قالوا آمنا فعاتبهم الله في ذلك وقال: ﴿ [^ _ a b c d e f ﴾ [الحجرات:١٤].

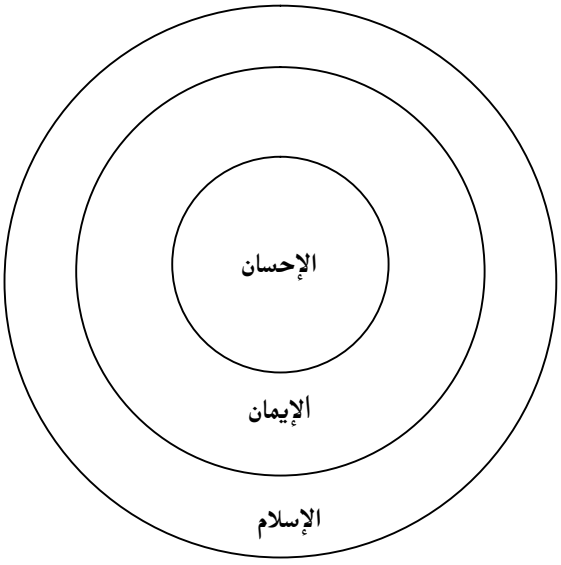

هذه مراتب الإسلام والإيمان والإحسان؛ أي: هذه الدوائر هي مراتب الدين.

وهو بضع وسبعون شعبة، فأعلاها: قول لا إله إلا الله، وأدناها: إماطة الأذىٰ عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان [١] .

---

[١] قال: (وهو)؛ أي: الإيمان (بضع وسبعون شعبة)، ورد بضع وسبعون، وورد بضع وستون.

(فأعلاها: قول لا إله إلا الله)، فأعلىٰ هذه الشعب: قول لا إله إلا الله؛ لأنها هي الكلمة التي يدخل بها العبد في الإسلام، وهي الكلمة التي تعصم دم العبد وماله، وهذه الشعب مترددة بين أعلاها وأدناها.

ومنها: **ما هو أعظم من غيره في الأجر، وقد ذكر النبيﷺ منيحة الشاة**(١).

وورد أيضًا في الصدقة بالماء أنه أعظم أجرًا من غيره؛ فعن سعيد: $أن سعدًا أتىٰ النبيﷺ فقال: أي الصدقة أعجب إليك؟ قال: الماء#(٢).

وعن سعد بن عبادة أنه قال: $يا رسول الله، إنَّ أمَّ سعدٍ ماتت، فأي الصدقة أفضل؟ قال: الماء. **قال: فحفر بئرًا، وقال: هذه لأمِّ سعدٍ#**(٣).

أما إماطة الأذىٰ عن الطريق، فهي من أدنىٰ الحسنات إلا أن الحسنات لا يستهان بشيء منها.

وقد ورد في الحديث عن أبي هريرة t أن رسول اللهﷺ قال: $بينما رجل يمشي في الطريق، وجد غصن شوك علىٰ الطريق فأخره، فشكر الله له فغفر له...#(٤).

---

(١) انظر: صحيح البخاري (٢٦٢٩)، ومسلم (١٠١٩).

(٢) أخرجه أبو داود (١٦٧٩)، وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود.

(٣) أخرجه أبو داود (١٦٨١)، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٩٦٢): حسن لغيره.

(٤) أخرجه البخاري (٦٥٤)، ومسلم (١٩١٤).

وأركانه ستة: أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره [١].

والدليل علىٰ هذه الأركان الستة: قوله تعالىٰ: ﴿ ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / 0 1 2 3 ﴾ [البقرة:١٧٧].

ودليل القدر: قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّا كُلَّ à خَلَقْنَهُ â ﴾ [القمر:٤٩].

وورد عن أبي هريرة t قال: قال النبي ﷺ: $بينما كلب يطيف بركية قد كاد يقتله العطش إذ رأته بغَي من بغايا بني إسرائيل فنزعت موقها فاستقت له به فسقته إياه فغُفر لها به#(١).

والمهم: **أن هذه الشعب من عمل بشيء منها مخلصًا لله فيه فهو قد أرضىٰ اللهT ولعل اللهT أن يغفر له بشيء من ذلك.**

[١] قال: (وأركانه ستة)؛ **أي: أركان الإيمان ستة كما ورد في حديث جبريل وغيره(٢):**

١ - أن تؤمن بالله. **٢ - وملائكته.**

٣- وكتبه. **٤ - ورسله.**

٥ - واليوم الآخر. **٦ - وتؤمن بالقدر خيره وشره.**

أما الإيمان بالله فهو يشمل:

أولًا: **الإيمان بوجوده I ، قال الله تعالىٰ:** ﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ © وَٱلْأَرْضِ﴾ [إبراهيم:١٠].

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٦٧)، (٢٢٤٥).

(٢) أخرجه مسلم (٨) من حديث عمر رضي الله عنه.

وقال تعالىٰ: ﴿ ` a b c d e f g i j k l m n o p ﴾ [فاطر:٤١].

ثانيًا: **الإيمان بتوحده بالألوهية، وأنه لا إله غيره ولا مستحق للعبادة سواه جل ربًّا وتقدس إلهًا، هو الذي خلق هذا الكون، وهو المتصرف فيه وهو المدبر له، يسعد ويشقي، ويمنع ويعطي، ويفقر ويغني، ويمرض ويصح، ويحيي ويميت، كل الأمور بيده، ومصير كل العباد إليه، لا إله إلا هو، ولا يستحق العبادة أحد سواه.**

ثالثًا: **الإيمان بأسمائه وصفاته، فله القدرة الكاملة، والحكمة الشاملة هو السميع البصير، وهو الحكيم الذي أعجزت حكمته العقول، اللطيف بعباده، يجب أن نصفه بالصفات العليا، ونسميه بالأسماء الحسنىٰ إلا أن أسماءه وصفاته توقيفية لا تؤخذ إلا عن الله أو عن رسوله ﷺ.**

نؤمن بأنه علىٰ العرش استوىٰ بائن من خلقه، وعلمه شامل لهم.

ونؤمن بأنه ينزل كل ليلة في الثلث الأخير إلىٰ السماء الدنيا فيقول: $من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له#[١].

نؤمن بأن له وجهًا لا كالوجوه، وأن له يدًا لا كالأيدي، صفاته كاملة كذاته، يجب أن نؤمن بها، ونعتقد معناها، ونفوض كيفيتها.

قال مالك لمن قال له: كيف استوىٰ ؟ قال: $**الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والجحود به كفر**#[٢].

---

(١) أخرجه البخاري (١١٤٥)، ومسلم (٧٥٨) من حديث أبي هريرة t .

(٢) **قال الشيخ الإمام الحافظ تقي الدين أبي محمد عبد الغني المقدسي في كتابه البديع $الاقتصاد في الاعتقاد#** (ص٨٦): $أما قول مالك فثابت عنه؛ أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات

والمهم: **أن الإيمان به يشمل الإيمان بوجوده والإيمان بتوحده بالألوهية والإيمان بأسمائه وصفاته.**

ثانيًا: أما الإيمان بالملائكة: **فيجب أن نؤمن بجميع أجناسهم، وأن منهم حملة العرش، ومنهم الملائكة الكروبيون الذين حول العرش، وأقربهم إليه جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت وخازن النار وخازن الجنة، خازن النار مالك، وخازن الجنة رضوان، وخزان النار خلقهم الله لغضبه فهم لا يضحكون ولا يرحمون، وخزان الجنة بخلاف ذلك.**

ومما يدل علىٰ كثرة الملائكة: **أن النبيﷺ زار ليلة أسري به البيت المعمور فأخبره جبريل بأنه:** $يصلي فيه كل يومٍ سبعون ألف ملك إذا خرجوا لم يعودوا إليه آخر ما عليهم#(١).

فإذا كانوا منذ خلق الله السموات والأرض هذا دأبهم، فمن الذي يقدر علىٰ إحصائهم؛ قالﷺ: $إني أرىٰ ما لا ترون، وأسمع ما لا تسمعون، أطت السماء وحق لها أن تئط؛ ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك واضع جبهته ساجدًا لله، والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيرًا وما تلذذتم بالنساء علىٰ

(ص٥١٦) من طريقين، وذكر الحافظ في الفتح (١٣/٤٠٦- ٤٠٧) وحكم بأن إسناده جيد، ورواه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة رقم (٦٤٤) (ج٢/٣٩٨)، وأبو عثمان الصابوني في عقيدة السلف ضمن الرسائل المنيرية (١/١١١)، وأبو نعيم في الحلية (٦/٣٢٥)، والدارمي في الرد علىٰ الجهمية (ص٢٧)، والذهبي في العلو (ص١٠٣) وقال: وهذا ثابت عن مالك# اهـ.

(١) أخرجه البخاري (٣٢٠٧)، ومسلم (١٦٤) من حديث مالك بن صعصعة رضي الله عنه.

الفرش، ولخرجتم إلىٰ الصعدات تجأرون إلىٰ الله، لوددت أني كنت شجرة تعضد#[١].

فيجب علينا أن نؤمن بالملائكة، وأنهم موجودون معنا، ولكن لا نراهم كما أن الجن موجودون معنا، ونحن لا نراهم.

ثالثًا: ونؤمن بالكتب المنزلة: **منها ما سمي ومنها ما لم يسم، فالمسمىٰ: توراة موسىٰ، وإنجيل عيسىٰ، وزبور داود، وصحف إبراهيم، وقرآن محمد ﷺ، وأن كل رسول قد أعطي كتابًا، وأن كل رسول قد أمر بالتوحيد، وأن كل رسول قد حذر من الشرك؛ قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾** [الزمر:٦٥].

يجب أن نؤمن بالكتب المنزلة علىٰ الرسل إجمالًا فيما أجمل، وتفصيلًا فيما فصل، أما كتابنا القرآن فيجب أن نؤمن به إيمانًا مفصلًا.

رابعًا: أما الإيمان بالرسل: **وهو أن نؤمن برسل الله، من ذكر منهم نؤمن به علىٰ التعيين، ونؤمن برسالته علىٰ الإجمال، ومن لم يذكر منهم فنحن نؤمن بأن الله قد أرسل رسلًا لهداية البشرية، أولهم نوح، وآخرهم محمد ﷺ.**

خامسًا: أما الإيمان باليوم الآخر: **وهو اليوم الذي لا يوم بعده، اليوم الذي يقدر بخمسين ألف سنة، اليوم الذي تأتي فيه كل نفس تجادل عن نفسها، وأن ذلك اليوم يقع فيه الجزاء علىٰ الأعمال، فالمؤمنون لهم الجنة، والكافرون دارهم**

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٣١٢)، وابن ماجه (٤١٩٠) من حديث أبي ذر t ، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣٣٨٠).

النار نعوذ بالله منها، ونؤمن بالجنة والنار، وأن إحداهما مأوىٰ المحسنين والأخرىٰ مأوىٰ المسيئين.

سادسًا وأخيرا: الإيمان بالقدر خيره وشره، حلوه ومره وأن كل ذلك من الله بقدر منه، وأنه كتب في اللوح المحفوظ كل ذلك وعلم الشقي منهم والسعيد، وأنهم صائرون إلىٰ ما كتب عليهم ، غير أن ذلك سيكون باختيار منهم ، وأن الله يعاقبهم علىٰ ذلك لأنهم استحبوا الضلالة علىٰ الهدىٰ، والغي علىٰ الرشد، نسأل اللهT أن يجعلنا من الراشدين المهديين.

ثم أورد الأدلة، فآية البقرة: دليل علىٰ أركان الإيمان ماعدا القدر.

أما دليل القدر: فهو قول اللهT : ﴿إِنَّاكُلَّ à خَلَقْنَهُ â ﴾ [القمر:٤٩].

˜ õ õ õ ™

المرتبة الثالثة: الإحسان.

ركن واحد، وهو: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك.

والدليل: قوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ﴾ [النحل:١٢٨].

وقوله: ﴿ m l k j i h g f e d c b s r q p o n ﴾ [الشعراء:٢١٧-٢٢٠].

وقوله: ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأۡنٖ وَمَا تَتۡلُواْ مِنۡهُ مِن قُرۡءَانٖ وَلَا تَعۡمَلُونَ مِنۡ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيۡكُمۡ شُهُودًا إِذۡ تُفِيضُونَ فِيهِۚ ﴾ [يونس:٦١] [١].

---

[١] سبق لنا أن شرحنا مرتبة الإسلام بأركانه، ومرتبة الإيمان بأركانه وقلنا: إن مرتبة الإسلام أعم، ومرتبة الإيمان أخص، وأنه إذا ذكر الإسلام والإيمان معًا فإن الإسلام يكون مقصودًا به الأعمال الظاهرة والإيمان مقصودًا به العقائد الباطنة.

أما الإحسان: فهو أعلىٰ مراتب الدين وأفضلها.

والإحسان في اللغة يقع علىٰ معنيين:

١ - يقع علىٰ معنىٰ الإتقان: بأن يتقن العبد عبادة ربه مخلصًا فيها حتىٰ يكون الإيمان بالغيب كالشهادة.

٢ - وقد فسر الإحسان: بـ: (أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك) فقوله: (تعبد الله كأنك تراه) أعلىٰ المرتبتين، بمعنىٰ أنه يكون الإيمان بالغيب كالشهادة، وهذا معنىٰ قوله: (كأنك تراه).

المرتبة الثانية في الإحسان، وهي أقل من المرتبة الأولىٰ: (فإن لم تكن تراه فإنه يراك) أن تؤمن وتعتقد بأن الله يراك في عبادتك فتحسنها.

هناك معنىٰ آخر يقع عليه اسم الإحسان، عرفنا أن المعنىٰ الأول هو الإتقان.

والدليل من السنة: حديث جبريل المشهور عن عمر بن الخطاب t قال: $بينما نحن جلوس عند النبيﷺ إذ طلع علينا رجلٌ...#. الحديث[1].

أما المعنىٰ الثاني: فهو الإحسان إلىٰ المخلوقين ببذل المعروف لهم وإيصاله إليهم، وكل معروف داخل في ذلك، فالصدقة علىٰ الفقراء والمساكين بقدر الاستطاعة هذا من المعروف، تعليم الجاهل هذا من المعروف، إنقاذ الواقع في الورطة ولم يكن محدثًا فيها حدثًا فسعيت في إنقاذه، أو خففت هذه الورطة عنه، أو أعنته بنوع من الإعانة إما بجاهك أو بمالك هذا من المعروف، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هذا من المعروف، الكلمة الطيبة هذا من المعروف، الإحسان إلىٰ الجار هذا من المعروف... إلىٰ غير ذلك من المعروف الذي تتعدد أنواعه وتكثر جهاته.

إلا أن حديث جبريل فسر الإحسان بالمعنىٰ الأول، والمعنىٰ الثاني يدخل فيه، فإذا تصدقت موقنًا بالخلف دخل في ذلك، وإذا صبرت علىٰ الأذىٰ موقنًا بالأجر دخل في ذلك.

وقد تبين أن الإحسان له معنيان أحدهما: هو الإتقان للعمل، والثاني: بذل المعروف للخلق عبودية للحق.

~ õ õ õ ™

(١) تقدم تخريجه (ص٨٩).

الأصل الثالث: معرفة نبيكم محمدﷺ، وهو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ابن هاشم، وهاشم من قريش، وقريش من العرب، والعرب من ذرية إسماعيل ابن إبراهيم الخليل، عليه وعلىٰ نبينا أفضل الصلاة والسلام[١] .

---

[١] هذا إلمام بنسبه -صلوات الله وسلامه عليه-؛ فهو من ذرية إسماعيل بن إبراهيم -عليهما الصلاة والسلام-.

والعرب تنقسم إلىٰ قسمين:

١- عرب عاربة: **وهي الأصل في العرب، وهم القحطانيون.**

٢- وعرب مستعربة: **وهم العدنانيون الذين ينتهي نسبهم إلىٰ إسماعيل بن إبراهيم الخليل -عليهما الصلاة والسلام-.**

والنبيﷺ من العرب المستعربة الذين يعود نسبهم إلىٰ إبراهيم الخليل -صلوات الله وسلامه عليه-.

وهو دعوة إبراهيم -عليه الصلاة والسلام- في قوله: ﴿ G F E D O N M L K J I H ﴾ [البقرة:١٢٩].

ولهذا قال النبيﷺ: $إني عبد الله في أم الكتاب لخاتم النبيين، وإن آدم لمجندل في طينته، وسأنبئكم بتأويل ذلك دعوة أبي إبراهيم، وبشارة عيسىٰ قومه، ورؤيا أمي التي رأت أنه خرج منها نور أضاءت له قصور الشام، وكذلك ترىٰ أمهات النبيين صلوات الله عليهم#[١].

~ õ õ õ ™

---

(١) أخرجه أحمد (١٦٧٠٠) من حديث العرباض بن سارية t ، وانظر: صحيح السيرة النبوية للألباني (ص٥٣)

وله من العمر ثلاث وستون سنة، منها أربعون قبل النبوة، وثلاث وعشرون نبيًّا رسولًا [١].

قال: (نبئ بـ: ﴿K﴾، وأرسل بـ: ﴿ { ﴾)[٢]، وبلده مكة، بعثه الله بالنذارة عن الشرك، ويدعو إلىٰ التوحيد، والدليل: قوله تعالىٰ: ﴿ | { ~ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ © فَٱهْجُرْ ۝٥ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝٦ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ﴾ [المدثر:١-٧].

ومعنىٰ: ﴿قُمْ فَأَنذِرْ﴾ ينذر عن الشرك ويدعو إلىٰ التوحيد.

﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾؛ أي: طهر أعمالك عن الشرك.

﴿ © فَٱهْجُرْ﴾ الرجز: الأصنام، وهجرها: تركها والبراءة من أهلها [٣].

---

[١] وقد توفي النبي ﷺ وله من العمر ثلاث وستون سنة؛ أربعون قبل النبوة، وثلاث وعشرون نبيًّا ورسولًا.

[٢] قال: (نبئ بـ: ﴿K﴾، وأرسل بـ: ﴿ { ﴾): **أول سورة اقرأ هي أول ما بدأ به من الوحي، أما سورة المدثر فهي بعد فترة الوحي، وهي التي أمر فيها بالإنذار.**

[٣] قال: (وبلده مكة)؛ أي: **بلده التي وُلد فيها وعاش فيها: مكة حتىٰ هاجر إلىٰ المدينة (بعثه الله بالنذارة عن الشرك، ويدعو إلىٰ التوحيد).**

لا شك أن الله | أمره وأمر كل نبي بالدعوة إلىٰ التوحيد؛ فيكون التوحيد هو الأساس الذي يبنىٰ عليه الدين.

قال تعالىٰ: ﴿ | { ~ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾ [المدثر:١-٣].

معنىٰ ﴿ { ﴾: المتلفف بثيابه. ﴿قُمْ﴾: أمر له بالإنذار، بالإنذار عن الشرك والدعوة إلىٰ التوحيد. ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾: عظمه بالتوحيد. ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ طهر أعمالك

أخذ علىٰ هذا عشر سنين يدعو إلىٰ التوحيد [١]، وبعد العشر عُرج به إلىٰ السماء، وفرضت عليه الصلوات الخمس، وصلىٰ في مكة ثلاث سنين [٢].

وبعدها أمر بالهجرة إلىٰ المدينة، والهجرة فريضة علىٰ هذه الأمة من بلد الشرك إلىٰ بلد الإسلام، وهي باقيةٌ إلىٰ أن تقوم الساعة[٣].

من الشرك ﴿ © فَٱهۡجُرۡ﴾ الرجز: المراد به الأصنام كما قاله العلماء، ﴿وَلَا تَمۡنُن تَسۡتَكۡثِرُ﴾ لا تهدي الهدية تريد أفضل منها. ﴿وَلِرَبِّكَ فَٱصۡبِرۡ﴾ اصبر لربك فيما قدره عليك من حاجة أو مرض أو غيرهما.

[١] يقول الشيخ : (أخذ علىٰ هذا عشر سنين)؛ **أي: أخذ علىٰ الدعوة إلىٰ التوحيد عشر سنين، لـم يأمر أحدًا بصلاة، ولا صوم، ولا زكاة، ولا شيء إذ إن هذه الأشياء إنما فرضت بعد الهجرة، إلا الصلاة فإنها فرضت قبل الهجرة بثلاث سنوات.**

[٢] قال: (وبعد العشر عرج به إلىٰ السماء، وفرضت عليه الصلوات الخمس وصلىٰ في مكة ثلاث سنين) **وقبل فرض الصلاة كان النبيﷺ يصلي ركعتين في الصباح، وركعتين في المساء ويقوم الليل. قال:** (وصلىٰ في مكة ثلاث سنين وبعدها أمر بالهجرة إلىٰ المدينة) **وهي يثرب.**

[٣] ومعنىٰ الهجرة: **أن تهجر بلد الشرك؛ أي: تتركها وتجيء إلىٰ بلد الإسلام؛ لأن الهجرة مأخوذة من الهجر وهو الترك، وقد أمر المسلمون بترك بلاد الشرك والقدوم إلىٰ بلد الإسلام، وحكمها: الوجوب علىٰ من قدر عليها؛ ولهذا أخبر الله عن أقوام بأنهم تتوفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم بسبب تركهم الهجرة وإيثارهم لبلاد الشرك.**

والدليل: قوله تعالىٰ: ﴿Z Y X W V U T S R Q P
k j i h g f e d c b a ` _ ^] \ [
y x w v u t s r q p o n m
z { | } ~ ﴿إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ۝ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ [النساء:٩٧-٩٩].

وقوله تعالىٰ: ﴿D E F G H I J K﴾ [العنكبوت: ٥٦].

قال البغوي -رحمه الله تعالىٰ-: سبب نزول هذه الآية في المسلمين الذين بمكة لم يهاجروا ناداهم الله باسم الإيمان [١].

---

[١] **قال الله تعالىٰ:** ﴿[Z Y X W V U T S R Q P
m l k j i h g f e d c b a ` _ ^] \
{ z y x w v u t s r q p o n
| } ~ ﴿إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ۝ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ [النساء:٩٧-٩٩].

وقوله تعالىٰ: ﴿D E F G H I J K﴾ [العنكبوت: ٥٦].

قال البغوي -رحمه الله تعالىٰ-: **سبب نزول هذه الآية في المسلمين الذين في مكة لم يهاجروا ناداهم الله باسم الإيمان.**

يؤخذ من هذه الآيات:

وجوب الهجرة علىٰ من قدر عليها أن ينتقل من بلد الكفر إلىٰ بلد الإسلام، ذلك لأن بلد الكفر يتعرض فيها المؤمن للإيذاء وتكون السلطة عليه لا معه، وإن سلم من الإيذاء فإنه لا يسلم من التحاكم إلىٰ غير حكم الله من القوانين التي قننها البشر، وحكموا بها عباد الله، ولكن الهجرة لابد أن تكون في زمننا الحاضر بإذن

والدليل علىٰ الهجرة من السنة: قوله ﷺ: $لا تنقطع الهجرة حتىٰ تنقطع التوبة، ولا تنقطع التوبة حتىٰ تطلع الشمس من مغربها#[١].

فلما استقر في المدينة أمر ببقية شرائع الإسلام مثل الزكاة، والصوم، والحج، والأذان، والجهاد، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وغير ذلك من شرائع الإسلام؛ أخذ علىٰ هذا عشر سنين.

ثم توفي -صلوات الله وسلامه عليه- ودينه باقٍ، وهذا دينه لا خير إلا دلَّ الأمة عليه، ولا شر إلا حذرها منه، والخير الذي دلها عليها: التوحيد وجميع ما يحبه الله ويرضاه، والشر الذي حذرها منه: الشرك وجميع ما يكرهه الله ويأباه.

بعثه الله إلىٰ الناس كافة، وافترض طاعته علىٰ جميع الثقلين الجن والإنس.

من الدولة المهاجر إليها، فإذا منعت الدولة أن تقبل هذا المهاجر، فإنه لا حول له ولا قوة إلا بالله لقد كانت الأمور ميسرة، أما الآن ففي الهجرة صعوبة إما أن يكون من ناحية البلد المهاجر منها، وإما أن يكون من ناحية البلد المهاجر إليها، فمن تيسرت له الهجرة إلىٰ بلد إسلامي فإنه يجب عليه أن يفعل ذلك، وأن بعض بلدان المسلمين الآن تشدد علىٰ من التزم دين الله في كل ما يأتي ويذر.

والخلاصة: **أن أي مسلم في بلد يحكمها الكفار بالقوانين الكفرية يجب عليه أن يهاجر منها إن تيسر له، فإن لم يتيسر له فإنه فيما يظهر أنه يكون معذورًا؛ لقول الله تعالىٰ: ﴿لَا يُكَلِّفُ ©نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَآ﴾ [البقرة:٢٨٦]، وبالله التوفيق.**

[١] قال: والدليل علىٰ الهجرة من السنة قوله ﷺ: $لا تنقطع الهجرة حتىٰ تنقطع التوبة، ولا تنقطع التوبة حتىٰ تطلع الشمس من مغربها#[(١)].

هذا دليل الهجرة علىٰ استمرار الهجرة، وأنها باقية ما بقيت الدنيا.

---

(١) تقدم تخريجه (ص٤٦).

والدليل: قوله تعالىٰ: ﴿ r s t u v w x y ﴾ [الأعراف:١٥٨].

وكمل الله به الدين، والدليل: قوله تعالىٰ: ﴿ K L M N O P Q R S T U ﴾ [المائدة:٣].

والدليل علىٰ موته ﷺ: قوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴾ [الزمر:٣٠-٣١][١].

---

[١] أقول: وفاة النبي ﷺ في الثاني عشر من ربيع الأول، وفي العام العاشر من الهجرة؛ قال ﷻ: ﴿ C D E F G H I J K L M N O P Q R S T U V W X Y Z [\ ﴾ [آل عمران:١٤٤].

ثم تولىٰ الخلافة بعده أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي بن أبي طالب بعد مقتل عثمان من قبل الخوارج سنة ٣٦ هـ.

ودينه باق ما بقي القرآن بين أظهرنا، وما بقيت السنة في بطون الكتب.

لا خير إلا دل الأمة عليه، ولا شر إلا حذرها منه، والخير الذي دلها عليه التوحيد وجميع ما يحبه ويرضاه، والشر الذي حذرها منه الشرك وجميع ما يكرهه ويأباه.

أقول: إن الأوامر والنواهي باقية في مصادرها الشرعية من كتاب وسنة، ويجب علىٰ الناس أن يلتمسوها من مظانها ويعملوا بها؛ لأن الله كلفهم بذلك لقوله تعالىٰ: ﴿ 1 2 3 4 5 6 7 8 9 : ; < = > ? ﴾ [الأعراف:٣].

وقوله تعالىٰ: ﴿ p q r s t u v w ﴾ [الحشر:٧].

وقوله تعالىٰ: ﴿ Q R S T U V W X Y Z [\ ] ^ _ ` a b c d e f g h i j k l m o r q p ﴾ [الشورىٰ:٤٧-٤٨].

وأشد وأفظع ما يجب اجتنابه: هو الشرك الأكبر المخرج من الملة.

إن طاعة رسول الله ﷺ واجبة في كل ما أمر به وكل ما نهىٰ عنه بشرط الاستطاعة؛ لأن الله ﷻ يقول: ﴿ w x y z ﴾ [التغابن:١٦].

وكان النبي ﷺ يبايع المؤمنين ويقول للمبايع: $عليك السمع والطاعة فيما استطعت#(١)، حتىٰ قالت امرأة من المؤمنات: $لَله ورسوله أرحم بنا من أنفسنا#(٢).

إن وجوب طاعته ﷺ، واعتقاد عموم رسالته واجب علىٰ كل مكلف كقوله -جل وعلا-: ﴿ r s t u v w x y ﴾ [الأعراف:١٥٨].

وقال ﷺ في حديث جابر في الخمس الخصائص: $وكان النبي يبعث إلىٰ قومه خاصة وبعثت إلىٰ الناس عامة#(٣).

لم يمت حتىٰ أكمل الله به الدين؛ قال ﷻ: ﴿ K L M N O P Q R S T U ﴾ [المائدة:٣]، أخبره الله ﷻ: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ۝٣٠ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ [الزمر:٣٠-٣١].

وبعد الموت البعث، قال ﷻ: والناس إذا ماتوا يبعثون، والدليل: ﴿ N O P Q R S T U ﴾ [طه:٥٥]، وقال -جل من قائل-: ﴿ L M N O P Q R S T U V ﴾ [نوح:١٧-١٨].

---

(١) أخرجه البخاري (٧٢٠٤)، ومسلم (٥٦) من حديث جرير بن عبد الله رضي الله عنه.
(٢) أخرجه الترمذي (١٥٩٧)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٥٢٩).
(٣) أخرجه البخاري (٣٣٥)، ومسلم (٥٢١).

والناس إذا ماتوا يبعثون.

والدليل: قوله تعالىٰ: ﴿N M O P Q R S T U﴾ [طه:٥٥]، وقوله تعالىٰ: ﴿L M N O P Q R S T U V﴾ [نوح:١٧-١٨].

وبعد البعث محاسبون، ومجزيون بأعمالهم.

والدليل: قوله تعالىٰ: ﴿c d e f g h i j k﴾ [النجم:٣١] [١].

---

[١] قال : (وبعد الموت محاسبون ومجزيون عن أعمالهم)، إن خيرًا فخير، وإن شرًّا فشر.

قال -جل من قائل-: ﴿\ [^ _ ` a b c d e f g h i j k﴾ [النجم:٣١].

فالله سيجزي كل عبد بما عمل؛ المحسنون يجزيهم بإحسانهم، والمسيئون يجزيهم بإساءتهم، وأهل الإحسان هم أتباع الرسل، وأهل الإساءة هم مخالفوهم، وقد أخبرنا الله بهلاك الأمم المكذبة، وفي ضمن ذلك الإخبار إنذار لمن يقرأه ويسمعه من العواقب السيئة التي لابد أن تحصل لمن كذب الرسل، وكفر بما جاءوا به؛ وذلك بأن يجمع الله عليهم عذاب الدنيا وعذاب الآخرة، أو يعافيهم من عذاب الدنيا ثم يجمع الله عليهم العذاب يوم القيامة في النار، وبالله التوفيق.

˜ õ õ õ ™

ومن كذب بالبعث بعد الموت كفر، والدليل: قوله تعالىٰ: ﴿ ~ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ﴾ [التغابن:٧] [١].

[١] الإيمان بالبعث بعد الموت ركن من أركان الإيمان لا يتم إيمان العبد إلا به؛ ولذلك فإن من كذب بالبعث بعد الموت كفر كفرًا يخرجه من الإسلام إن كان مسلمًا ويوجب عليه الخلود في النار، قال تعالىٰ: ﴿ ~ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ﴾ [التغابن:٧].

لقد ذكر الله T في القرآن نماذج تدل علىٰ البعث بعد الموت:

النموذج الأول منها: إحياء القتيل الذي قتل من بني إسرائيل واشتجروا في قتله، وكان الذي قتله قريب له، فاحتكموا إلىٰ موسىٰ فأمرهم الله T أن يضربوه بعضو من أعضاء بقرة تذبح، وبعد الحوار بين موسىٰ وقومه توصلوا إلىٰ البقرة وذبحوها فأمرهم الله T أن يضربوه ببعضها، فضربوه ببعضها فعادت إليه الحياة فقام وجلس ثم قال: قتلني فلان ثم عاد ميتًا.

والنموذج الثاني: الذي مَرَّ علىٰ القرية بعد أن خربت وخرج منها أهلها فقال: ﴿ z y x w v u ﴾، كيف يحيي الله هذه بعد موتها ﴿ | { ~ عَامٖ ثُمَّ بَعَثَهُۥۖ ﴾ [البقرة:٢٥٩] بعد ذلك، كما ذكر الله T ذلك في سورة البقرة وأحيا حماره وهو ينظر وأتي له بطعامه وشرابه لم يتسنه؛ أي: لم يتعفن من تلك المدة الطويلة.

النموذج الثالث: الذي ذكره الله أيضًا في سورة البقرة أن جماعة خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت؛ أي: حاذرين من وقوعه بهم، فقال لهم الله: موتوا ثم أحياهم بعد ذلك، وماتوا بآجالهم، وهذه النماذج كلها في سورة البقرة.

النموذج الرابع: في سورة الكهف وهم أصحاب الكهف، وهذه النماذج جعلها الله لعباده في الحياة الدنيا ليستدلوا بها علىٰ الحياة بعد الموت، وإلا فإن الحياة بعد الموت ثابتة بخبر الله عنها.

والمهم: أن الحياة بعد الموت يوم القيامة، والإيمان بها يحصل للناس في عرصات القيامة، والجنة والنار التي يؤولون إليها كل ذلك داخل في الركن الخامس وهو الإيمان باليوم الآخر.

وقد رد الله علىٰ المكذبين بهذا اليوم في آيات عدة، ودل إحياء الأرض بعد موتها علىٰ ذلك نسأل الله أن يصبغ قلوبنا بصبغة الإيمان قوله تعالىٰ:﴿ ~ ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْ﴾، الزعم: هو مطية الكذب كما يقولون! وهو القول بلا دليل.

قوله: ﴿أَن لَّن يُبۡعَثُواْ﴾؛ أي: أن لن يحيوا بعد الموت. قال اللهT قل يا محمد: ﴿بَلَىٰ وَرَبِّي © ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ﴾ [التغابن:٧].

قال تعالىٰ: ﴿Z [\ ] ^ _ ` a b c d e f

g h i j k l m n o﴾ [القيامة:١-٤].

~ õ õ õ ™

وأرسل جميع الرسل مبشرين ومنذرين.

والدليل قوله تعالىٰ: ﴿ W V U T S R Q P O X ﴾ [النساء:١٦٥].

وأولهم نوح u ، وأخرهم محمدﷺ خاتم النبيين.

والدليل علىٰ أن أولهم نوح: قوله تعالىٰ: ﴿ ! " # $ % & ' ( ) * + ﴾ [النساء:١٦٣] [١].

---

[١] ثم قال: وأرسل الله جميع الرسل ﴿ O P Q R S T U V W X ﴾ [النساء:١٦٥].

الرسل: هم الأدلاء علىٰ الله وهم القادة إلىٰ مرضاته وجنانه، فبهم يعرف اللهﷻ، وتعرف مرضاته والطرق الموصلة إليها، فلا سبيل إليه إلا من طريقهم.

قالﷻ: ﴿ | { ~ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأۡتِيَنَّكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي فَمَنِ ٱتَّقَىٰ © فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٣٥﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ ´ µ ¶ ¸ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [الأعراف:٣٥-٣٦].

فالعبادة فيها شرطان:

أولًا: شرط الإخلاص.

وثانيًا: شرط المتابعة بأن تكون متبعًا لرسول من الرسل.

وأخبرنا اللهﷻ أن أول الرسل: نوح، وأخرهم: محمدﷺ، وهذه الحقائق مقطوع بها لا تقبل الجدل، قال -جل من قائل-: ﴿ ! " # $ % & ' ( ) * + ﴾ [النساء:١٦٣].

وخاتمهم محمدﷺ لقوله -جل وعلا-: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٖ مِّن رِّجَالِكُمۡ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَۗ ﴾ [الأحزاب:٤٠].

وكل أمة بعث الله إليها رسولًا من نوح إلىٰ محمدﷺ يأمرهم بعبادة الله وحده، وينهاهم عن عبادة الطاغوت، والدليل: قوله تعالىٰ: ﴿ G F E D N M L K J I H ﴾ [النحل:٣٦] [١].

وافترض الله علىٰ جميع العباد الكفر بالطاغوت، والإيمان بالله.

قال ابن القيم -رحمه الله تعالىٰ-: $معنىٰ الطاغوت: ما تجاوز به العبد حده من معبود، أو متبوع، أو مطاع# [٢].

---

[١] ولقد بعث الله في كل أمة رسولًا يحذرهم وينذرهم ويأمرهم بعبادة الله وينهاهم عن عبادة الطاغوت؛ قال تعالىٰ: ﴿ D E F G H I J K L M N ﴾ [النحل:٣٦].

فكل الرسل متفقون علىٰ هذين الأمرين:

١ - الأمر بعبادة الله وحده.

٢ - النهي عن عبادة الطاغوت والكفر به.

[٢] الطاغوت: **يشمل كل من عبد بباطل، وأحسن ما فسر به الطاغوت قول ابن القيم : $ومعنىٰ الطاغوت: ما تجاوز به العبد حده من معبود، أو متبوع، أو مطاع#. فمن عبد من دون اللهT فقد تجاوز به العابد حده؛ إذ من حق كل مخلوق أن يكون عبدًا لا معبودًا، وأن يدين لله بالألوهية وحده.**

وكذلك قوله: (أو متبوع) فالعبد يجب عليه أن يكون تابعًا لرسول اللهﷺ فيما أمر الله به في كتابه أو علىٰ لسان رسولهﷺ ، فإن تبع مخلوقًا وترك المتابعة لرسول اللهﷺ فإنه قد اتخذه طاغوتًا، ومن حق كل مخلوق أن يكون تابعًا لكتاب الله، ولسنة رسول اللهﷺ، فمن اتخذه متبوعًا فقد تجاوز به حده وغلا فيه غلوًّا يخرجه عن الحق؛ لأن الطاعة المطلقة حق لله تعالىٰ ولرسولهﷺ.

والطواغيت كثيرة، رءوسهم خمسة: إبليس لعنه الله، ومن عُبد وهو راضٍ، ومن دعا الناس إلىٰ عبادة نفسه، ومن ادعىٰ شيئًا من علم الغيب، ومن حكم بغير ما أنزل الله.

والدليل: قوله تعالىٰ: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ﴾ [البقرة:٢٥٦]، وهذا معنىٰ لا إله إلا الله [١].

أما قوله: (أو مطاع) فهو كذلك أيضًا، وقد قال النبي ﷺ: $لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق**#**(١).

[١] الطواغيت كثيرون، ورءوسهم خمسة:

(إبليس لعنه الله، ومن عُبد وهو راضٍ، ومن دعا الناس إلىٰ عبادة نفسه، ومن ادعىٰ شيئًا من علم الغيب، ومن حكم بغير ما أنزل الله).

فإبليس: هو رأس الطواغيت؛ لأنه عارض ربه في أمره، واعترض عليه في سلطانه فلعنه الله وأبعده من الجنة وطرده منها.

ومن عُبد وهو راض: فقد اتخذ مقام الألوهية وأخذ ما ليس له؛ إذ من حقه أن يكون عابدًا لا معبودًا، ومربوبًا لا ربًّا؛ لأنه لا يملك لنفسه ولا لغيره نفعًا ولا ضرًّا.

كذلك من ادعىٰ شيئًا من علم الغيب؛ فقد ادعىٰ حق الألوهية.

ومن حكم بغير ما أنزل الله؛ فقد ادعىٰ حق الألوهية.

قال تعالىٰ: ﴿{ ~ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمۡ يَأۡذَنۢ بِهِ ©ۚ﴾ [الشورىٰ:٢١].

---

(١) أخرجه أحمد (٣٨٧٩)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧٥٢٠).

وفي الحديث: $رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله#، والله أعلم.

وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد، وعلىٰ آله وصحبه وسلم [١].

وكل ذلك خروج عن طاعة الله ﷻ وتمرد عليه وادعاء لحقه بغير حق، قال تعالىٰ: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ﴾ [البقرة:٢٥٦].

قال: (وهذا هو معنىٰ لا إله إلا الله).

قلت: **ومعنىٰ لا إله إلا الله: لا معبود بحق في الوجود إلا الله.**

[١] **قوله: وفي الحديث:** $رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله#[1].

فالإسلام: **هو رأس الأمر، إذ لا يدخل أحد الجنة إلا بالإسلام، ولا يثبت له الأمن من عذاب الله إلا بالإسلام، ولا تصح صلاته، وزكاته، وصومه، وحجه إلا بالإسلام.**

وعموده الصلاة؛ **أي: أن العمود الذي يقوم عليه فسطاط الإسلام هو الصلاة، فإن لم يكن للدين عمود فقد ذهب الدين.**

وقوله: (وذروة سنامه الجهاد)؛ **أي: أعلاه وأفضل شيء فيه هو الجهاد في سبيل الله.**

وبذلك تمت هذه التعليقات علىٰ كتاب الأصول الثلاثة، وفق الله الجميع لِمَا يحبه ويرضاه.

وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلم.

---

(١) تقدم تخريجه (ص٤٨).

متن

الأصـــول الســـتـــة

بسم الله الرحمن الرحيم

المَتنُ:

مِن أَعجَبِ العُجَابِ وأكبَرِ الآيَاتِ الدالَّةِ عَلىَ قدرَةِ المَلكِ الغلاَّبِ سِتَّةُ أُصُولٍ، بَيَّنَها الله تَعَالَىٰ بَيَانًا وَاضِحًا لِلعَوَامِّ فَوقَ مَا يَظُنُّ الظَّانُّونَ، ثُمَّ بَعدَ هَذَا غَلِطَ فيها كثيرٌ مِنْ أذكياءِ العالَمِ وعقلاءِ بَنِي آدَمَ إِلَّا أَقَلَّ القَلِيلِ.

الأصلُ الأوَّلُ إخلاصُ الدِّينِ لله تَعَالَىٰ وَحدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبَيَانُ ضِدِّهِ الَّذِي هُوَ الشِّركُ بِاللهِ وكَونَ أكثَرِ القرآنِ في بيانِ هذا الأصلِ من وجُوهٍ شتَّىٰ بكلامٍ يَفهَمُهُ أَبلَدُ العَامَّةِ، ثُمَّ لَمَّا صَارَ عَلَىٰ أَكثَرِ الأُمَّةِ مَا صَارَ أَظهَرَ لَهُمُ الشَّيطَانُ الإخلاصَ فِي صُورَةِ تَنَقُّصِ الصَّالِحِينَ، وَالتَّقصِيرِ فِي حُقُوقِهِم، وَأَظهَرَ لَهُمُ الشِّركَ بِاللهِ فِي صُورَةِ مَحَبَّةِ الصَّالِحِينَ وَأَتبَاعِهِم.

الأصلُ الثَّانِي: أَمَرَ اللهُ بالاجتماع فِي الدِّينِ، ونَهىٰ عنِ التفرُّقِ فِيه، فبيَّن الله هَذا بَيانًا شَافيًا تفهمُهُ العوامُّ، ونَهانا أن نكُونَ كالذِينَ تفرَّقوا واختَلفُوا قَبلنا فَهَلَكُوا، وذَكرَ أنهُ أَمَرَ المُسلمينَ بالاجتمَاعِ فِي الدِّين، ونَهاهُم عَن التفرُّقِ فِيهِ.

ويزيدُهُ وضُوحًا مَا وَردَت بِهِ السُّنَّةُ مِن العَجبِ العُجابِ فِي ذَلك، ثُم صارَ الأمرُ إلىٰ أنَّ الافتِرَاقَ فِي أصُولِ الدِّين وفُروعِهِ هُو العِلمُ والفِقهُ فِي الدِّينِ، وصَارَ الاجتماعُ فِي الدِّين لا يقُولُه إلا زِنديقٌ أو مَجنُونٌ.

الأَصلُ الثَّالِثُ: إنَّ مِن تَمَامِ الاجتِمَاعِ: السَّمعَ وَالطَّاعَةَ لِمَن تَأَمَّرَ عَلَينَا وَلَو كَانَ عَبدًا حَبَشِيًّا، فَبيَّنَ الله هَذَا بَيَانًا شَافِيًا كَافِيًا بِوجُوهٍ مِن أَنوَاعِ البَيَانِ شَرعًا وَقَدَرًا،

ثُمَّ صَارَ هَذَا الأصلُ لَا يُعرَفُ عِندَ أَكثَرِ مَن يَدَّعِي العِلمَ فَكَيفَ العَمَلُ بِهِ؟

الأصلُ الرَّابِعُ : بَيَانُ العِلمِ وَالعُلَمَاءِ، وَالفِقهِ والفُقَهَاءِ، وَبَيَانُ مَن تَشَبَّهَ بِهِم وَلَيسَ مِنهُم، وَقَد بَيَّنَ الله تَعَالَىٰ هَذَا الأَصلَ فِي أَوَّلِ سُورَةِ البَقَرَةِ مِن قَولِهِ: ﴿ @ A B C D E F G H I J ﴾ [البقرة:٤٠]. **إلىٰ قوله:** ﴿ μ ¶ ¸ نِعْمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [البقرة:٤٧].

وَيَزِيدُهُ وُضُوحًا: مَا صَرَّحَت به اِلسنةُ فِي هذاَ اَلكلاَ م الكَثِيرِ البَيِّنِ الوَاضِحِ لِلعَامِّيِّ البَلِيدِ، ثُمَّ صَارَ هَذَا أَغرَبَ الأَشيَاءِ، وَصَارَ العِلمُ وَالفِقهُ هُوَ البِدَعَ والضلاَ لَاتِ، وَخِيَارُ مَا عِندَهُم لَبسُ الحَقِّ بِالبَاطِلِ، وَصَارَ العِلمُ الَّذِي فَرَضَهُ الله تَعَالَىٰ عَلَىٰ الخَلقِ وَمَدَحَهُ لَا يَتَفَوَّه بِهِ إِلَّا زِندِيقٌ أَو مَجنُونٌ، وَصَارَ مَن أَنكَرَهُ وَعَادَاهُ وَصَنَّفَ فِي التَّحذِيرِ مِنهُ وَالنَّهيِ عَنهُ هُوَ الفَقِيهَ العَالِمَ.

الأَصلُ الخَامِسُ: بَيَانُ الله سُبحَانَهُ لأَولِيَاءِ الله، وَتَفرِيقُهُ بَينَهُم وَبَينَ المُتَشَبِّهِينَ بِهِم مِن أَعدَاءِ الله المُنَافِقِينَ وَالفُجَّارِ، وَيَكفِي فِي هَذَا آيَةٌ مِن سُورَةِ آلِ عِمرَانَ وَهِي قَولُهُ: ﴿ < ? @ A B C D E ﴾ [آل عمران:٣١] **الآيَة.**

وَآيَةٌ فِي سُورَةِ المَائِدَةِ، وَهِي قَولُهُ: ﴿ l m n o p q r s t u v w x y ﴾ [المائدة:٥٤] الآيَة.

وَآيَةٌ فِي يُونُسَ، وَهِي قَولُهُ: ﴿ ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / ﴾ [يونس:٦٢-٦٣].

ثُمَّ صَارَ الأَمرُ عِندَ أَكثَرِ مَن يَدَّعِي العِلمَ، وَأَنَّهُ مِن هُدَاةِ الخَلقِ وَحُفَّاظِ الشَّرعِ إِلَىٰ أَنَّ الأَولِيَاءَ لَابُدَّ فِيهِم مِن تَركِ اتِّبَاعِ الرُّسُلِ، وَمَن تَبِعَهُم فَلَيسَ مِنهُم.

وَلَابُدَّ مِن تَركِ الجِهَادِ، فَمَن جَاهَدَ فَلَيسَ مِنهُم، وَلَابُدَّ مِن تَركِ الإِيمَانِ وَالتَّقوَىٰ، فَمَن تَعَهَّدَ بِالإِيمَانِ وَالتَّقوَىٰ فَلَيسَ مِنهُم، يَا رَبَّنَا نَسأَلُكَ العَفوَ وَالعَافِيَةَ؛ إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ.

الأَصلُ السَّادِسُ: رَدُّ الشُّبهَةِ الَّتِي وَضَعَهَا الشَّيطَانُ فِي تَركِ القُرآنِ وَالسُّنَّةِ وَاتِّبَاعِ الآرَاءِ وَالأَهوَاءِ المُتَفَرِّقَةِ المُختَلِفَةِ، وَهِيَ أَنَّ القُرآنَ وَالسُّنَّةَ لَا يَعرِفُهُمَا إِلَّا المُجتَهِدُ المُطلَقُ، وَالمُجتَهِدُ هُوَ المَوصُوفُ بِكَذَا وَكَذَا أَوصَافًا لَعَلَّهَا لَا تُوجَدُ تَامَّةً فِي أَبِي بَكرٍ وَعُمَرَ، فَإِن لَم يَكُن الإِنسَانُ كَذَلِكَ فَليُعرِض عَنهُمَا فَرضًا حَتمًا لَا شَكَّ وَلَا إِشكَالَ فِيهِ، وَمَن طَلَبَ الهُدَىٰ مِنهُمَا فَهُوَ: إِمَّا زِندِيقٌ، وَإِمَّا مَجنُونٌ؛ لأَجلِ صُعُوبَةِ فَهمِهِمَا.

فَسُبحَانَ اللهِ وَبِحَمدِهِ! كَم بَيَّنَ اللهُ سُبحَانَهُ شَرعًا وَقَدَرًا، خَلقًا وَأَمرًا فِي رَدِّ هَذِهِ الشُّبهَةِ المَلعُونَةِ مِن وُجُوهٍ شَتَّىٰ بَلَغَت إِلَىٰ حَدِّ الضَّرُورِيَّاتِ العَامَّةِ، وَلَكِنَّ أَكثَرَ النَّاسِ لَا يَعلَمُونَ: ﴿U V W X Y Z [\ ] ^ _ ` a
b c d e f g h i j k l m n o
p q r s t u v w x y z { | }
© ~ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكۡرَ وَخَشِيَ ٱلرَّحۡمَٰنَ بِٱلۡغَيۡبِۖ بِمَغۡفِرَةٖ وَأَجۡرٖ كَرِيمٍ﴾ [يس:٧-١١].

آخِرُهُ، وَالحَمدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ.

وَصَلَّىٰ الله عَلَىٰ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحبِهِ وَسَلَّم تَسلِيمًا كَثِيرًا إِلَىٰ يَومِ الدِّينِ.

˜ õ õ õ ™

التعليق على
الأصـــول الســـتـــة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَال المصنِّفُ:

مِن أَعجَبِ العُجَابِ، كَلَّ اَلآياتَ اِلدالَّةَ عِلىَ قدرُةَ اَلملكِ اِلغلاَّ بِ سِتَّةُ أُصُولٍ(١)، بَيَّنَها الله تَعَالَىٰ بَيَانًا وَاضِحًا لِلعَوَامِّ(٢) فَوقَ مَا يَظُنُّ الظَّانُّونَ، ثُمَّ بَعدَ هَذَا غلطَ فَيهِا كثيرَ مُنِ أذكَياءَ اَلعالَمَ وعَقلُاَ ءِ بَنِي آدَمَ إِلَّا أَقَلَّ القَلِيلِ(٣).

الأصلُ الأوَّلُ إِخلاَ صُ الدِّينِ لله تَعَالَىٰ وَحدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبَيَانُ ضِدِّهِ الَّذِي هُوَ الشِّركُ بِاللهِ،كوَنَ أُكثَرَ اَلقرأُن فِي بيانَ هِذاَ اَلأصَل منِ وجُوهُ شِتىَّ بكِلاَ مٍ يَفهَمُهُ أَبلَدُ العَامَّةِ، ثُمَّ لَمَّا صَارَ عَلَىٰ أَكثَرِ الأُمَّةِ مَا صَارَ أَظهَر لَهُمُ الشَّيطَانُ اِلإخِلاَ صَ

---

(١) **ذكر الشيخ عبيد الله بن عبد الله بن سليمان الجابري -حفظه الله- في (ص٦) من كتابه $تنبيه ذوي العقول السليمة إلىٰ فوائد مستنبطة من الستة الأصول العظيمة -تعريف الأصول#**: قوله: $الأصول: جمع أصل؛ وهو في اللغة ما يُبنىٰ عليه غيره، ومنه الأساس -أصل البناء-، والجذع أصل الشجرة قال الله تعالىٰ: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [إبراهيم:٢٤].

والمراد هنا: قواعد مستنبطة من الكتاب والسنة للدلالة علىٰ كمال حكمة الله وقدرته، وكمال هديه وتشريعه، وهذه الست القواعد استنبطها الشيخ من الكتاب والسنة#. اهـ

(٢) **قال شيخنا النجمي -حفظه الله-**: العامي هو من لا يقرأ ولا يكتب.

(٣) إن دل هذا فإنما يدل علىٰ بُعدهم عن الله، وهجرهم للعمل بكتابه تعالىٰ، وسنة رسولنا محمدﷺ إلا من هداه الله، فمن رزقه الله ذكاء وعقلاً واعيًا ولم يرزقه الله زكاءً في أعماله فهذا ما عرف حق الله عليه وكأن هذا المُعْرِض عن العمل الصالح ما سمع قول ربه تعالىٰ وهو يقول: ﴿@ A B C D E F G H﴾ [الشمس:٩-١٠]؛ إذ العبرة بالعمل، لا بكثرة العلم والذكاء، والله أعلم.

فِي صُورَةِ تَنَقُّصِ الصَّالِحِينَ، وَالتَّقصِيرِ فِي حُقُوقِهِم، وَأَظهَرَ لَهُمُ الشِّركَ بِاللهِ فِي صُورَةِ مَحَبَّةِ الصَّالِحِينَ وَأَتبَاعِهِم [١].

---

[١] قوله: $إِخْلَاصُ الدِّينِ لله تَعَالَىٰ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبَيَانُ ضِدِّهِ الَّذِي هُوَ الشِّرْكُ بِاللهِ، وَكَوْنُ أَكْثَرِ القُرْآنِ لِبَيَانِ هَذَا الأَصْلِ مِن وُجُوهٍ شَتَّىٰ بِكَلَامٍ يَفْهَمُهُ أَبْلَدُ العَامَّةِ#.

أقول: الإخلاص لله هو القاعدة العظيمة من قواعد الدين التي ينبني عليها، ويتلوه المتابعةُ؛ فالدِّينُ يقوم علىٰ هذين الأصلين:

١ - إخلاصُ الدين لله تعالىٰ وحده لا شريك له.

٢ - متابعةُ رسولهﷺ فلا يُقبل عملٌ إلا بتوفُّرِ هذين الشرطين فيه، فمَنْ عمل عملاً لم يُؤسَّسْ علىٰ هذين الأصلين، فإن عمله يكون مردودًا عليه، حتىٰ ولو أخلَّ بواحد منهما؛ فمن أخلص لله ولكنه لم يتابع رسولَ اللهﷺ، فإن عمله باطل لعدم المتابعة ومن تابع الرسولﷺ فقط ولم يخلص لله، فإن عمله باطل أيضًا لعدم الإخلاص.

فمن الأدلة علىٰ الإخلاص قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي ©رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ ´ µ ¶ ﴾ [الأنعام:١٦٢-١٦٣].

وقوله تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ â ã كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ ç è é ê ë بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ î ﴾ [الكهف:١١٠].

وقوله تعالىٰ: ﴿h i j k l m n o p q r

s t u v w x ﴾ [البينة:٥].

وقوله تعالىٰ: ﴿فَٱدْعُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوْ © ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [غافر:١٤].

والأدلة علىٰ هذا كثيرةٌ، وأكثر السور المكية آياتها في حوار مع المشركين، وبيان بطلان دينهم، والاستدلال علىٰ إبطاله، وبيان أن معبوديهم -وهي الآلهة التي يعبدونها- لا تملك شيئًا؛ لقوله تعالىٰ: ﴿ V W X Y Z [\ ] ﴾ [فاطر:١٣].

وقوله في آية أخرىٰ: ﴿. / 0 1 2 3 4 5 6 7﴾ [النساء:٥٣]، وبيان عجز هذه الآلهة وضعفها؛ كما قال تعالىٰ: ﴿ ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 : ; = > ? ﴾ [الحج:٧٣].

وفي أثناء ذلك يبين اللهT قدرته في مخلوقاته التي خلقها، وآياته التي أودعها في هذا الكون ليدُلَّك علىٰ كماله وقدرته، وأنه هو الإلهُ الحقُّ المستحقُّ للألوهية دون سواه، وأنه هو الذي ينبغي أن يعبد وأن تُخْلَصَ له العبادةُ لما له علىٰ الناس من فضل بخلقهم وإيجادهم، وما يُسْدي لهم من النعم وما يتفضل به عليهم من الرزق، فهو المستحق للعبودية دون سواه؛ والكلام في هذا يطول لو أردنا أن نسلك شيئًا من التقصي، وما ذُكر فيه الكفاية.

وأما المتابعة؛ فأدلتها كثيرة أيضًا من كتاب الله وسنة رسول اللهﷺ؛ فمنها ما جاء في قول الله تعالىٰ: ﴿ p q r s t u v w x y z { | ~ ٱلۡعِقَابِ ﴾ [الحشر:٧].

وقال -جل من قائل-: ﴿ ! " # $ % & ' ( ) * +

, - . / 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 ﴾ [الأحزاب:٣٦].

وقال سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ﴾ [الأنفال:٢٤].

وقال اللهT: ﴿ > ? @ A B C D E F G H I J K L ﴾ [آل عمران:٣١].

وفي الحديث عن أبي هريرة t أن رسول اللهﷺ قال: **$كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبىٰ.** قالوا: يا رسول الله، ومن يأبىٰ؟ قال: **من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبىٰ#**(١).

أما قوله: $ثُمَّ لَمَّا صَارَ عَلَىٰ أَكْثَرِ الأُمَّةِ مَا صَارَ أَظْهَر لَهُمُ الشَّيْطَانُ الإِخْلَاصَ فِي صُورَةِ تَنَقُّصِ الصَّالِحِينَ، وَالتَّقْصِيرِ فِي حُقُوقِهِمْ، وَأَظْهَرَ لَهُمُ الشِّرْكَ بِاللهِ فِي صُورَةِ مَحَبَّةِ الصَّالِحِينَ وَاتِّبَاعِهِمْ#.

المقصود بهذا الكلام: أنه لما أُدخل في الدين ما أُدخل من البدع، كبدع الصوفية، وبدع التشيع وما إلىٰ ذلك من البدع؛ أظهر الشيطان لكثير من الناس أن إخلاص العبادة لله، وعدم دعاء أولئك الصالحين في زعمهم يكون فيه تنقص للصالحين، وتقصير في حقوقهم، وأن من دعا أولئك الصالحين، واستغاث بهم، وجعلهم وسائط بينه وبين الله، فقد عرف حقهم؛ علمًا بأن الله يمنع ويأبىٰ أن يُشْرَك معه غيره في شيء من العبادة؛ حتىٰ ولو كان ملكا مقرباً أو نبيا مرسلا .

وقد فصل اللهT في بعض آياته بين الحق المشترك بينه وبين رسوله، والحق

(١) تقدم تخريجه.

الخالص له، فقال -جل من قائل-: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخۡشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقۡهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ﴾ [النور:٥٢].

فجعل الطاعة مشتركة بينه وبين الرسول، وجعل الخشية والاتقاء له وحده، وقد قال اللهT عن الرسولﷺ الذي هو أكرم الخلق عليه، وأعلاهم عنده منزلة، وأفضلهم عنده مقامًا: ﴿w x y z { | } ~ أَوۡ يُعَذِّبَهُمۡ فَإِنَّهُمۡ ظَٰلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٢٨].

وبهذا يتبين أن قولهم هذا قول باطل، وخطأٌ فاحشٌ لا يجوز لأحدٍ أن يعتقده، وأن الموحدين لم يهضموا الصالحين حقهم؛ بل يحبونهم لله إن كانوا صالحين علىٰ الحقيقة.

ولكنهم لا يُعطونهم شيئًا من حق اللهT لعلمهم أن ذلك موجب لسخطه تعالىٰ، وقد قال النبيﷺ لمن قال له: $أنت سيدنا وابن سيدنا#: **$يا أيها الناس، قولوا بقولكم ولا يَسْتَهْوِيَنَّكم الشيطانُ، أنا محمد بن عبد الله ورسول الله، والله ما أُحبُّ أن ترفعوني فوق ما رفعني اللهT#**[(١)].

وقال لمن قال له: $يا رسول الله، جهِدَتِ الأنفسُ وضاعتِ العيالُ، ونَهِكَتِ الأموالُ وهَلَكَتِ الأنعامُ، فاستسقِ اللهَ لنا، فإنا نستشفع بك علىٰ الله، ونستشفع بالله عليك.

قال رسول اللهﷺ: **وَيْحَك! أتدري ما تقولُ؟** وسبح رسول اللهﷺ فما زال يسبِّحُ حتىٰ عُرف ذلك في وجوه أصحابه، ثم قال: **وَيْحَكَ! إنه لا يُستشفع بالله علىٰ أحد من خلقه؛ شأن الله أعظم من ذلك.**

---

(١) أخرجه أحمد (١٣١١٧) من حديث أنس t، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٠٩٧).

ويحك! أتدري ما الله؟! إن عرشه علىٰ سمواته هكذا -وقال بأصابعه- **مثل القُبة عليه، وإنه ليئط به أطيط الرحل بالراكب#**[١].

وقد تبين من هذا أن من يزعم أن تحقيق التوحيد، وإخلاصه لله تعالىٰ تنقص بالصالحين، فإن قوله هذا باطل، وإنه ضالٌّ من الضُّلالِ الذي يجب علىٰ المسلمين أن يحذروهم علىٰ دينهم. وبالله التوفيق.

~ õ õ õ ™

(١) أخرجه أبو داود (٤٧٢٦) من حديث جبير بن مطعم t ، وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة (٢٦٣٩).

الأصلُ الثَّانِي: أَمَرَ اللهُ بالاجتماع فِي الدِّينِ، ونَهىٰ عنِ التفرُّقِ فِيه، فبيَّن الله هَذا بَيانًا شَافيًا تفهمُهُ العوامُّ، ونَهانا أن نكُونَ كالذِينَ تفرَّقوا واختَلفُوا قَبلنا فَهَلَكُوا، وذَكرَ أنهُ أَمَرَ المُسلمينَ بالاجتمَاعِ فِي الدِّين، ونَهاهُم عَن التفرُّقِ فِيهِ.

ويزيدُهُ وضُوحًا مَا وَردَت بِهِ السُّنَّةُ مِن العَجبِ العُجابِ فِي ذَلك، ثُم صارَ الأمرُ إلىٰ أنَّ الافترَاقَ فِي أصُولِ الدِّين وفُروعِهِ هُو العِلمُ والفِقهُ فِي الدِّينِ، وصَارَ الاجتماعُ فِي الدِّين لا يقُولُه إلا زِنديقٌ أو مَجنُونٌ [١].

---

[١] لقد قرن اللهT الأمر بالاجتماع في الدين، وعدم التفرق فيه بالعبادة، وهو من العبادة، فقال -جل من قائل-: ﴿ - . / 0 1 2 3 4 ﴾ [الأنبياء:٩٢]، وفي الآية الأخرىٰ: ﴿وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ﴾ [المؤمنون:٥٢].

ومفاد هاتين الآيتين ما يلي:

١ - هو أن المعبود هو الله، فلا تجوزُ العبادة لغيره.

٢ - وكذلك لابد أن تكون الأمة واحدة مجتمعة علىٰ هذا الهدف، وهو وحدانية المعبود، وأنه هو الله وحده لا شريك له.

ووحدة الأمة بأن تكون الأمة واحدة، آخذة من ربها عن نبيهاﷺ الأوامر والنواهي؛ تتلقىٰ عنه أوامره ونواهيه بواسطة رسولهﷺ مما جاء في الكتاب والسنة فتعمل بها؛ ولهذا أخبر I أن هذا الذي بيَّنه لأمة محمدﷺ هو شرع كل الأنبياء والأمم، وعلىٰ رأسهم أولو العزم، كما قال -جل من قائل-: ﴿I L K J] \| Z Y X W V U T S R Q P O N M ^ _ ` a ﴾ [الشورىٰ:١٣].

فأخبر أنه وصىٰ بذلك نوحًا أوَّلَ الرسل ووصىٰ به محمدًاﷺ؛ وهو آخر الرسل في قوله: ﴿ R S T ﴾، ووصىٰ به إبراهيم وموسىٰ وعيسىٰ؛ وهؤلاء الثلاثة هم الباقون من أولي العزم: إبراهيم الخليل، وموسىٰ الكليم، وعيسىٰ بن مريم روح الله وكلمته التي ألقاها إلىٰ مريم.

فقوله: ﴿\ [^ ﴾؛ أي: للهT ؛ ﴿ _ ` a ﴾: هذا أمر بأن يكون الدين لله تجتمع علىٰ ذلك الأمة؛ فإن حصل في ذلك اختلاف، فلتكن العودة إلىٰ الله ورسوله فيما حصل فيه الاختلاف، وعندئذ يُحَلُّ الاختلاف بما أمر الله به في قوله: ﴿ وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ مِن شَيۡءٖ فَحُكۡمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّي عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ﴾ [الشورىٰ:١٠].

وفي قوله: ﴿ n m l k j i h g f e d o ﴾ [النساء:٨٣].

ولقد حض الرسولُﷺ علىٰ الاجتماع، وعدم التفرق؛ بل إنه قضىٰ علىٰ كل أسباب التفرق والاختلاف.

ومن تأمل الأحكام الشرعية يجد أن الرسولﷺ في تشريعاته التي تلقاها من ربه لم يَدَعْ سببًا من الأسباب التي تؤدي إلىٰ الاختلاف إلا وحسمه، امتثالًا لأمر الله حيث يقول: ﴿ A B C D E F ﴾ [آل عمران:١٠٣].

وقال سبحانه: ﴿ J K L M N P Q R S T U V X Y Z [\ ﴾ [الأنعام:١٥٣].

إلىٰ غير ذلك من الآيات.

قوله: $ويزيده وضوحًا ما وردت به السنة من العجب العجاب في ذلك#.

أقول: الأدلة في السنة، منها قوله ﷺ: **$نضر الله امرأً سمع مقالتي فوعاها، وحفظها وبلَّغها؛ فرُبَّ حاملِ فقه إلىٰ من هو أفقه منه.**

ثلاث لا يغِلُّ عليهن قلب مسلم: إخلاص العمل لله، ومناصحة أئمة المسلمين، ولزوم جماعتهم، فإن الدعوة تحيط من ورائهم#[١].

ومنها قوله ﷺ: **$من أتاكم وأمركم جميع علىٰ رجل واحد يريد أن يشق عصاكم أو يفرق جماعتكم فاقتلوه#**[٢].

ومنها حديث: **$افترقت اليهود علىٰ إحدىٰ وسبعين فرقة وافترقت النصارىٰ علىٰ اثنتين وسبعين فرقة، وستفترق هذه الأمة علىٰ ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة.**

قالوا: من هي يا رسول الله؟ قال: **هم الذين علىٰ مثل ما أنا عليه وأصحابي#**[٣] إلىٰ غير ذلك من الأدلة.

قوله: **$ثم صار الأمر إلىٰ الافتراق في أصول الدين وفروعه هو العلم والفقه في الدين، وصار الاجتماع في الدين لا يقوله إلا زنديق أو مجنون#.**

لعل مقصود المؤلف ما حصل بين المسلمين من الافتراق في أصول الدين

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٦٥٨) من حديث ابن مسعود t ، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٤٠٤).

(٢) أخرجه مسلم (١٨٥٢) من حديث عرفجة بن شريح t .

(٣) أخرجه الترمذي (٢٦٤١) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما ، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٥٣٤٣).

وفروعه، فالافتراق في أصول الدين حصل كثيرًا: فمن (جهمية) إلىٰ (اعتزال) إلىٰ (قدرية) إلىٰ (مرجئة)، إلىٰ غير ذلك.

وكذلك الافتراق في الفروع: فمن حنفية إلىٰ مالكية إلىٰ شافعية إلىٰ حنابلة وظاهرية؛ وهذا الافتراق في الفقه الإسلامي لا يُعدُّ افتراقًا، بل هو مجال لتنوع الأفهام، واختلافها في المسائل التي يسوغ فيها الاجتهاد وليس هذا بعيب، ولا نقص؛ ولكن العيب والنقص هو ترك الدليل لقول الإمام؛ هذا هو الذي يُذَمُّ صاحبه ويُلامُ.

ولعلَّ المؤلف : قصد إلىٰ هذا الاختلاف، وأن كثيرًا من أهل زمنه قد ذهبوا إلىٰ أن من ترك هذه المذاهب وأخذ بالدليل اتهموه بما وصف المؤلف من الجنون والزندقة.

والزندقة[1] هي عدم الاكتراث بالدين، وعدم المبالاة به، والعياذ بالله. وبالله التوفيق.

~ õ õ õ ™

(١) **قال في $القاموس# (ص٨٩١ - طبعة مؤسسة الرسالة)**: $الزنديق -بالكسر- من الثنوية أو القائل بالنور والظلمة أو من لا يؤمن بالآخرة وبالربوبية أو من يبطن الكفر ويظهر الإيمان#. اهـ

الأَصلُ الثَّالِثُ: إِنَّ مِن تَمَامِ الاجتِمَاعِ: السَّمعَ وَالطَّاعَةَ لِمَن تَأَمَّرَ عَلَينَا وَلَو كَانَ عَبدًا حَبَشِيًّا، فَبيَّنَ الله هَذَا بَيَانًا شَافِيًا كَافِيًا بِوجُوهٍ مِن أَنوَاعِ البَيَانِ شَرعًا[١] وَقَدَرًا، ثُمَّ

---

(١) إن الله قد بيَّن لنا في كتابه، ووضَّح ﷺ لنا في سنته وجوب طاعة السلطان فيما ليس فيه معصية لله ولا لرسوله ﷺ؛ فإن أمر السلطان بمعصية فلا سمع إذن ولا طاعة، وهو ما بينه شيخنا من الأدلة علىٰ هذه المسألة عند قول المؤلف: $فبيَّن الله هذا بيانًا شافيًا كافيًا بوجوه من أنواع البيان شرعًا#.

وأما قوله: $قدرًا#: فهو ما كتبه الله في اللوح المحفوظ علىٰ الأمة الإسلامية أفرادًا وشعوبًا حينما عادت وتعود إلىٰ كتاب ربها، وسنة نبيها محمد ﷺ ، وتعمل بهذين المصدرين المنزلين من عند الله -تبارك وتعالىٰ-، ومن تلك الأمور التي أمر الله بها، وأمر بها رسوله ﷺ: طاعة ولي الأمر بالمعروف، والاجتماع عليه، وعدم الخروج عليه بالقول والفعل؛ فإن الله قد وعد من فعل ذلك بالخيرية، والعزة، والتمكين في الأرض، والنصرة علىٰ الأعداء؛ كما قال تعالىٰ: ﴿ < = > ? @ A B C D E F G H I J K L M N O P Q R S T U V W X Y Z [﴾ [النور:٥٥].

وقال تعالىٰ: ﴿ J K L M N O P Q R S T U V W X Y Z [\ ] ^ _ ` a b c d e ﴾ [الحج:٤٠-٤١].

وحينما تترك الأمة الإسلامية العمل بالكتاب والسنة وتتعبد بشيء لم يأمر الله به، فإنه قد كتب وقدَّر في اللوح المحفوظ بأن من كان هذا حاله ومن ذلك عدم طاعة السلطان والخروج عليه بأنواع الخروج، فإن الله إذا رأىٰ من عباده هذا يبتليهم بالتفرُّق والتمزق، ويجعل بأسهم بينهم، ويسود الفساد والبلاء بين أفرادها، كما قال تعالىٰ: ﴿ I J K L M N O P Q R S T U V W X Y Z [\ ﴾ [الأنعام:١٥٩].

فلنعتصم جميعًا بما جاء في الكتاب والسنة، ولنجعل نصب أعيننا أن كل أمر من الله أو من رسوله ﷺ بأنه أمر واجب الامتثال إلا ما دلت النصوص علىٰ أن هذا الأمر علىٰ سبيل الاستحباب، وأن نعتقد فيه اعتقادًا جازمًا لا مرية فيه بأن فيه الخير، وبخلافه يحصل

صَارَ هَذَا الأصلُ لَا يُعرَفُ عِندَ أَكثَرِ مَن يَدَّعِي العِلمَ فَكَيفَ العَمَلُ بِهِ؟[١].

[١] سبق لنا أن بيَّنا ما بيَّنه الله لعباده في قوله تعالىٰ: ﴿ - . / 0 1 2 3 4 ﴾ [الأنبياء:٩٢].

وفي الآية الأخرىٰ: ﴿وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ﴾ [المؤمنون:٥٢].

وفي قوله: ﴿ I J K L M N O P Q R S T U V W X Y Z [\ ] ^ _ ` a ﴾ [الشورىٰ:١٣].

وعرفنا من تلك الأدلة بأن الله أمرنا أن نعبدَ إلهًا واحدًا هو الله وحده لا شريك له، وأمرنا أن تكون أمَّتنا أمة واحدة.

فتبين أن الدين يقوم علىٰ أصلين:

١ - أن الإله واحد، وهو المتعبد له بأنواع العبادات، وهو الله دون سواه.

٢ - أن الأمة يجب أن تكون واحدة، وألا تتفرق في الدين، ويقول المؤلف هنا: **$أن من تمام الاجتماع السمع والطاعة لمن تأمر علينا -ولو كان عبدًا حبشيًّا-#:** سواء كان برًّا أو فاجرًا، وسواءً كان مُطيعًا أو عاصيًا؛ وطاعة من ولاه الله أمرنا واجبة علينا، وهو من تمام اجتماع الكلمة؛ وقد وردت في ذلك الآية، وهي قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النساء:٥٩].

الشر، وأن كل نهي نهانا الله عنه في كتابه أو نهانا عنه رسولنا محمدﷺ في سنته، فإنه نهي يحرم علينا الوقوع فيه إلا ما دلت الأدلة علىٰ أن النهي فيه علىٰ سبيل الكراهة والتنزيه؛ لأنا إذا وقعنا في النهي فسيحصل علينا الشر إن عاجلاً وإن آجلاً.

فإن عدنا أيها المسلمون إلىٰ الله عودة صادقة ظفرنا بسعادة الدارين: دار الدنيا، ودار الآخرة، وإن تخلفنا، فإن الأمر علىٰ العكس من ذلك، والله المستعان.

وأما الأحاديث في هذا الباب فهي كثيرة منها:

أمر النبيﷺ بالسمع والطاعة لولي الأمر، وعدم الخروج عليه؛ فعن عبادة ابن الصامت t قال: $بايعنا رسول اللهﷺ علىٰ السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا وعسرنا ويسرنا وأثرة علينا، وألا ننازع الأمر أهله، إلا أن تروا كفرًا بواحًا عندكم من الله فيه برهان#[١].

ومنها: حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول اللهﷺ: **$من رأىٰ من أميره شيئًا يكرهه فليصبر عليه فإنه من فارق الجماعة شبرًا فمات إلا مات ميتة جاهلية#**[٢].

ومنها: حديث عوف بن مالك t : **$خيار أئمتكم الذين تُحبونهم ويحبونكم وتصلون عليهم ويصلون عليكم؛ وشرار أئمتكم الذين تُبغضونهم ويُبغضونكم وتلعنونهم ويلعنونكم.**

قيل: يا رسول الله، أفلا ننابذهم بالسيف؟ فقال: **لا، ما أقاموا فيكم الصلاة، وإذا رأيتم من وُلاتكم شيئًا تكرهونه، فاكرهوا عمله، ولا تنزعوا يدًا من طاعة#**[٣].

ومنها: حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: يقول: سمعت رسول اللهﷺ يقول: **$مَنْ خلع يدًا من طاعة لقي الله يوم القيامة لا حجة له؛ ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية#**[٤].

---

(١) أخرجه البخاري (٧٠٥٦)، ومسلم (١٧٠٩).
(٢) أخرجه البخاري (٧٠٥٤)، ومسلم (١٨٤٩).
(٣) أخرجه مسلم (١٨٥٥).
(٤) أخرجه مسلم (١٨٥١).

وعن أنس بن مالك t قال: قال رسول الله ﷺ: $**اسمعوا وأطيعوا وإن استُعمل عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة**#[١].

والأحاديث في هذا الباب كثيرة، يأمر اللهT علىٰ لسان رسوله ﷺ بطاعة السلطان وعدم الخروج عليه.

بيَّن الله هذا بيانًا شافيًا في مواضع كثيرة، فلا داعي للإطالة فيها: فمن كان مؤمنًا بالله، ومؤمنًا برسول الله ﷺ، فليتقِ الله، ولا ينزعنَّ يدًا من طاعة؛ فإن الخروج يعم الخروج بالقول، والخروج بالفعل، والمنازعة تعم المنازعة في القول؛ والمنازعة في الفعل. وبالله التوفيق.

~ õ õ õ ™

(١) أخرجه البخاري (٦٩٣).

الأصلُ الرَّابِعُ: بَيَانُ العِلمِ(١) وَالعُلَمَاءِ، وَالفِقهِ والفُقَهَاءِ، وَبَيَانُ مَن تَشَبَّهَ بِهِم وَلَيسَ مِنهُم، وَقَد بَيَّنَ الله تَعَالَىٰ هَذَا الأَصلَ فِي أَوَّلِ سُورَةِ البَقَرَةِ مِن قَولِهِ: ﴿ @ A

(١) المراد بالعلم: هو العلم الشرعي؛ وهو ما قاله الله في كتابه، وما قاله رسول الله ﷺ في سنته، وما استنبطه أهل العلم منهما من الأحكام الشرعية، والتي ينبني عليهما حفظ الدين والمال والعرض والعقل والنسل؛ والعلماء هم العارفون بذلك العاملون بما فيهما، والداعون إليهما الصابرون علىٰ الأذىٰ فيهما.

ويسمون أيضًا بالفقهاء، وإليك أخي القارئ الكريم بعضَ النصوص الشرعية من الكتاب والسنة الدالة علىٰ فضل العلم والعلماء، والفقه والفقهاء لتكون لك فيها أعظم واعظٍ وأجل حافزٍ؛ لتسلك طريقهم وتحتذي بهم، وعلىٰ رأس أولئك العلماء علماء الصحابة والتابعين، ومن جاء بعدهم في كل زمان ومكان.

وهاهي النصوص غضة طرية -زادك الله توفيقًا وهدًىٰ-: قال الله تعالىٰ: ﴿ 4 6 5 9 8 7 : ; < = > ? A B C D E F ﴾[آل عمران:١٨].

وقال سبحانه: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الزمر:٩].

وقال -جل من قائل-: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ à ٱلْعِلْمَ â ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ ç﴾ [المجادلة:١١].

وقد جاء في الحديث عن قيس بن كثير؛ قال: $قدم رجل من المدينة علىٰ أبي الدرداء وهو بدمشق فقال: ما أقدمك يا أخي؟ فقال: حديث بلغني أنك تحدثه عن رسول الله ﷺ قال: أما جئت لحاجة؟ قال: لا، قال: أما قدمت لتجارة؟ قال: لا. قال: ما جئت إلا في طلب هذا الحديث؟ قال: نعم.

قال: فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: **$من سلك طريقًا يبتغي فيه علمًا سلك الله به طريقًا إلىٰ الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضاءً لطالب العلم، وإن العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض حتىٰ الحيتان في الماء؛ وفضل العالم علىٰ العابد كفضل القمر علىٰ سائر الكواكب؛ إن العلماء ورثة الأنبياء؛ إن الأنبياء لم يورثوا دينارًا ولا درهمًا، إنما ورثوا العلم، فمن أخذ به أخذ بحظ وافر#.**

أخرجه الترمذي وهو حديث صحيح كما ذكر ذلك الألباني في $صحيح الترمذي# (رقم

﴿ μ ¶ ¸ ¹ º » ¼ ½ ¾ ¿ À Á Â Ã Ä Å Æ Ç È É Ê Ë Ì Í Î Ï Ð Ñ Ò Ó Ô Õ Ö × Ø Ù Ú Û Ü Ý Þ ß à á â ã ä å æ ç è é ê ë ì ﴾ [البقرة:٤٠]. إلىٰ قوله: ﴿ J I H G F E D C B

¶ ¸ ¹ º » ¼ ½ ¾ ¿ À Á Â Ã Ä Å Æ Ç È É Ê Ë Ì Í Î Ï Ð Ñ Ò Ó Ô Õ Ö × Ø Ù Ú Û Ü Ý Þ ß à á â ã ä å æ ç è é ê ë ì ﴾ [البقرة:٤٧].

وَيَزِيدُهُ وُضُوحًا: مَا صَرَّحَت بِهِ السُّنَّةُ فِي هَذَا الكَلَامِ الكَثِيرِ البَيِّنِ الواضِحِ لِلعَامِّيِّ البَلِيدِ، ثُمَّ صَارَ هَذَا أَغرَبَ الأَشيَاءِ، وَصَارَ العِلمُ وَالفِقهُ هُوَ البِدَعَ وَالضَّلَالَاتِ، وَخِيَارُ مَا عِندَهُم لَبسُ الحَقِّ بِالبَاطِلِ، وَصَارَ العِلمُ الَّذِي فَرَضَهُ الله تَعَالَىٰ عَلَىٰ الخَلقِ وَمَدَحَهُ لَا يَتَفَوَّه بِهِ إِلَّا زِندِيقٌ أَو مَجنُونٌ، وَصَارَ مَن أَنكَرَهُ وَعَادَاهُ وَصَنَّفَ فِي التَّحذِيرِ مِنهُ وَالنَّهيِ عَنهُ هُوَ الفَقِيهَ العَالِمَ [١].

---

[١] إن شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب : ؛ قد عاش في القرن الثاني عشر، وعاش في زمن انتشر فيه الشرك الأكبر؛ وهي عبادة القبور وغيرها مما

٢٦٨٢)؛ وأشار إليه أيضًا في $صحيح ابن ماجه# (رقم ٢٢٣)؛ وانظره في $صحيح الترغيب# (١/ ١٣٨ -رقم ٧٠).

وقال الرسول ﷺ: **$إن الله لا يقبض العلم انتزاعًا ينتزعه من الناس ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتىٰ إذا لم يترك عالمًا اتخذ الناس رءوسًا جهالًا فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا#** (رواه البخاري ومسلم)، وقال ﷺ: **$من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين#.** (رواه البخاري ومسلم) ؛ إلىٰ غير ذلك من الأدلة الدالة علىٰ فضل العلم وأهله وما أحسن قول الشيخ حافظ الحكمي حين قال:

يـا طالـب العلـم لا تبغـي بـه بـدلا ... فقـد ظفـرت ورب اللـوح والقلـم

وقـدس العلـم واعـرف قـدر حرمتـه ... في القـول والفعـل والآداب فـالتزم

فاجتهد -يا طالب العلم- في تحصيل العلم الشرعي، وخذه من أفواه الشيوخ السائرين علىٰ نهج السلف، ولا تنسَ أن تخلِص في ذلك لله ربك عالم الغيب والشهادة -زادك الله علمًا وتقًىٰ لله رب البريات-.

يُتخذُ آلهةً، فأنكر عليهم ودعاهم إلىٰ التوحيد، وإلىٰ العقيدة السلفية الصحيحة، عقيدة أهل السنة والجماعة التي مضىٰ عليها إمام أهل السنة أحمد بن حنبل :[1]،

(١) وإليك أخي القارئ الكريم ملخَّصًا عن عقيدة المسلم (المنهج السلفي) التي يجب أن يدين العبد بها أمام ربه ليجد جزاء ذلك يوم يلقاه والتي ذكرها شيخنا أحمد بن يحيىٰ النجمي في كتابه $الفتاوىٰ الجلية عن المناهج الدعوية#، وهو إجابة عن سؤال ورد عليه يسأل فيه السائل الشيخ عن ذلك وعن التعريف بغيرها، فارجع إليه زادك الله توفيقًا وعلمًا.

(المنهج السلفي):

١ - أن ندين للهT بالتوحيد، فلا ندعو أحدًا سواه، ولا نلتجئ إلىٰ أحد غيره؛ في جلب نفع أو دفع ضر وأن نتعبد ببغض المشركين، وعداوتهم؛ إلا أنه يجب علينا؛ أن ندعوهم أولًا إلىٰ التوحيد، ونبين لهم؛ أنه لا إسلام بدون توحيد، وأن من دعا إلهًا غير الله كفر، فمن أصر بعد ذلك فإنه يجب علينا البعد عنه، وبغضه للهT.

٢ - عقيدة السلف تنبني علىٰ أن يُوصف اللهT بما وصف نفسه في كتابه، وعلىٰ لسان رسولهﷺ من غير تحريف، ولا تمثيل، ولا تشبيه، ولا تعطيل، ولا تأويل.

٣ - نثبت لله الأسماء الحسنىٰ؛ التي أثبتها لنفسه، ومدح نفسه بها؛ سواء كانت واردة في الكتاب أو السنة.

٤ - نؤمن بأنه لا وصول إلىٰ رضا الله، ولا إلىٰ الجنة؛ إلا من طريق رسول اللهﷺ، وأمَّا من طلب الوصول إلىٰ رضا الله من غير طريق رسولهﷺ فإنه قد ضل، وعمي عن الحق، وخسر دنياه وآخرته.

٥ - نؤمن بأن شرع الله تعالىٰ هو ما جاء من طريق الوحيين: كتاب الله، وسنة رسولهﷺ؛ وإلىٰ ذلك أشار ربنا بقوله تعالىٰ: ﴿p o n m l k j i h g s r q﴾ [الجاثية:١٨].

٦ - أن نعتقد بأن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق والسنة هي المبينة له، ويفسر القرآن بالسنة وبتفسير الصحابة والتابعين لهم بإحسان رضي الله عنهم ؛ فالتفسير للقرآن يكون بالأثر؛

فلما أعلن فيهم إنكار الشرك عادوه وآذوه، وزعموا أنه زنديق خارجي يكفِّر المسلمين بدون موجبٍ للتكفير، وهو إنما كفر من دعا غير الله معتقدًا فيه جلب

أي: من طريق الصحابة والتابعين، وبالأحاديث الموصلة إلىٰ ذلك والكتب التي تحوي ذلك؛ هي التي يجب اقتناؤها وقراءتها كـ: $تفسير ابن جرير#، و$تفسير البغوي#و$تفسير الدر المنثور# للسيوطي، وأمثال ذلك.

٧- يجب أن نأخذ السنة علىٰ طريقة المحدثين؛ في التصحيح والتضعيف، فنأخذ ما صحَّ، ونترك الضعيف.

٨- ندين للهT بطاعة ولاة الأمر في المعروف، إذ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق؛ ما داموا مسلمين؛ يحكِّمون شرع الله، ويقيمون حدود الله وما داموا يقيمون الصلاة، وأن طاعتهم واجبة، وإن جاروا؛ وأن من قال خلاف ذلك، وأجاز الخروج علىٰ الإمام المسلم وإن كان جائرًا، فهو مبتدع ضال؛ يجب علىٰ علماء المسلمين أن يردوا عليه قوله، ويبينوا ضلاله.

٩- أنه لا يجوز نشر مثالب ولاة الأمور؛ لأن في ذلك إثارة للفتن وتسببًا لوقوعها، وإشاعتها.

١٠- يجب أن ندين للهTبالسنة، ونتبعها، ونمقت البدع والمبتدعين؛ لقولهﷺ: **$من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد#**؛ وفي رواية: **$من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد#.** (أخرجه البخاري ومسلم).

هذه خلاصة وكلمات موجزة من عقيدة السلف يجب أن نأخذ بها وأن نسير عليها إن كنا نريد النجاة ونريد الحق.

ويجب علينا أن ننبذ أقوال الرجال التي لا تستند إلىٰ دليل، فالرجال يُعرفون بالحق وليس الحق يُعرف بالرجال.

وأخيرًا: يجب علينا أن نضرع إلىٰ الله أن يرينا الحق حقًّا ويرزقنا اتباعه ويرينا الباطل باطلاً ويرزقنا اجتنابه إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد خير الخليقة وأتقاها وأبرها، وأزكاها، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

النفع ودفع الضرِّ ولم يكفر هؤلاء إلا بعد إقامة الحجة عليهم.

فكان أهل العلم في زمانه قسمين:

١ - قسم عادوه وآذوه وأفتوا بكفره، وهم الأكثرون، وهم الذين عبَّر عنهم بقوله: $**وبيان من تشبه بهم وليس منهم**#، وهؤلاء أخبارهم مفصلة في الكتب التي ذُكرت فيها سيرة الشيخ ▪ ، وكذلك تاريخ الدولة السعودية إبان نشأتها.

وقد صور الشيخ محمد بن إسماعيل الأمير الكحلاني ثم الصنعاني ما جرىٰ للشيخ محمد بن عبد الوهاب بحسب ما وصل إليه من أخبار، وذلك من خلال قصيدته التي بعث بها إليه في الدرعية سنة ١١٦٣هـ.

ومما قال في مقدمتها النثرية: لما طارت الأخبار بظهور عالم في نجد يُقال له محمد بن عبد الوهاب، ووصل إلينا بعض تلاميذه، وأخبرونا عن حقائق أحواله وتشميره في التقوىٰ، وفي النهي عن المنكر والأمر بالمعروف، فاشتاقت النفس إلىٰ مكاتبته بهذه الأبيات، وهذا أنقله من كتاب $أثر دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ▪ في الفكر والأدب بجنوب الجزيرة# (ص٤٧٧) للشيخ عبد الله بن محمد بن حسين أبو داهش؛ قال:

لقد أنكرت كل الطوائف قوله ... بلا صدرٍ في الحق منهم ولا ورد
وما كل قول بالقبول مُقَابَل ... ولا كل قول واجب الرد والطرد
سوىٰ ما أتىٰ عن ربنا ورسوله ... فذلك قول جل قدرًا عن الرد
وأما أقاويل الرجال فإنها ... تدور علىٰ قدر الأدلة في النقد

وأقول: كل طوائف البدع قد أنكروا قوله لأن دعوته سلفية بحتة تقوم علىٰ الأدلة من كتاب الله، وصحيح سنة رسول اللهﷺ وعلىٰ فهم السلف الصالح، ولذلك

فإن دعوته تهدم الخرافة التي قامت عليها عقيدة الصوفية، وعبادة القبور، وتأبىٰ التعطيل الذي قامت عليه عقيدة الجهمية، وتأبىٰ تأمير العقول علىٰ النصوص، فما قبلته منها أُخذ، وما لم تقبله منها رُدَّ؛ وهو الذي قامت عليه عقيدة المعتزلة، وتأبىٰ تأويل نصوص الصفات الذي يؤدي إلىٰ تعطيلها، وهو الذي قامت عليه عقيدة الأشعرية؛ لذلك فقد أنكرت دعوته هذه الفئات كلها مع أتباعهم من العوام، ومعظمهم رموه بالكفر والزندقة.

٢- قسم لم يقبل دعوته : منهم إلا القليل أو أقل القليل من العلماء، وهم الذين لهم إلمام بالنصوص الشرعية وبسيرة النبيﷺ وما كان عليه السلف الصالح في زمن الخلفاء الراشدين، والأئمة المهتدون؛ ومن هؤلاء الأفذاذ محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني -صاحب $سبل السلام#، و $تطهير الاعتقاد#- الذي أنكر عقائد المبتدعة في ذلك الزمان.

قال الشيخ عبد الله أبو داهش: وقد مضىٰ الأمير الصنعاني في بسط حديثه عن أحوال الناس عند ظهور دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب : ، فأشار إلىٰ البدع الضالة والمعتقدات الباطلة التي كانت منتشرة في ربوع الإسلام عندئذ قال:

أعـاد بهـا معنـىٰ سُـوَاعَ ومثْلَـه ... يَعُـوقَ ووَدٍّ بـئسَ ذلـكَ مـن وُدِّ
وقـد هتفـوا عنـد الـشدائدِ باسـمها ... كمـا يهتِـفُ المـضطرُّ بالـصمدِ الفـردِ
وكـم عقـروا في سـوحها مـن عقيـرةٍ ... أُهلـت لغيـر الله جهـرًا علـىٰ عمـدِ
وكـم طـائف حـول القبـور مقبِّـلٍ ... ومـستلم الأركـانَ مـنهنَّ بالأيـدي
لقـد سـرَّني مـا جـاءني مـن طريقـه ... وكنت أرىٰ هذي الطريقة لي وحدي

.....

إلىٰ أن قال:

وهـذا اغتـرابُ الـدين فاصبر فـأنني غريـــبٌ وأعـــدائي كثيـــرٌ بـــلا عـــدِّ

وبالجملة؛ فإن الشيخ محمد بن عبد الوهاب : يريد أن يفرِّقَ بين أهل العلم والفقه في الدين، وبين المتسمينِّ بالعلم والفقه، وليسوا أهلاً لذلك، فإنهم ينبزون من جاء بالحق بألقابٍ كاذبة، ويصفونه بأوصافٍ خاطئةٍ فيقولون: مجنون أو زنديق أو غير ذلك، كما قال المشركون للنبيﷺ في قول الله تعالىٰ: ﴿ ! " # $ % & ') (* + , - . / 0 1 2 3 4 5 ﴾ [الذاريات:٥٢-٥٣].

قوله: $**ثم صار هذا أغرب الأشياء**#؛ أي: اتباع الكتاب والسنة، صار هو أغرب الأشياء $**فصار العلم والفقه هو البدع والضلالات، وخيار ما عندهم لبس الحق بالباطل**#؛ وذلك أنه كان في زمنه من رد عليه وعاداه، وزعموا أنه خارجي، وسموه هو وأصحابه خوارج، وزعموا أنه هو المقصود بقول النبيﷺ: $**رأس الكفر نحو المشرق**#[1]، وهذا زعم باطل، وإنما المقصود به الإلحاد والاشتراكية التي دعت إليها الدول الإلحادية كروسيا وأتباعها في الاعتقاد والفكر، وحاربت الشرائع كلها، وعلىٰ رأسها شريعة الإسلام؛ بل حاربت كل مظاهر الدين الإسلامي كالحجاب، واللحية، واعتياد إتيان المساجد، فعليهم لعائن الله، وموجبات غضبه.

والمهم أن علماء ذلك الزمن حملوا الحديث علىٰ أنه إشارة إلىٰ دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب : ؛ مع أن دعوة الشيخ هي إحياء لدعوة التوحيد؛ التي بُعث بها النبيﷺ وكل نبي. وبالله التوفيق.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٣٠١)، ومسلم (٥٢) من حديث أبي هريرة t .

الأَصلُ الخَامِسُ: بَيَانُ الله سُبحَانَهُ لأَولِيَاءِ(١) الله، وَتَفرِيقُهُ بَينَهُم وَبَينَ المُتَشَبِّهِينَ بِهِم مِن أَعدَاءِ الله المُنَافِقِينَ وَالفُجَّارِ، وَيَكفِي فِي هَذَا آيَةٌ مِن سُورَةِ آلِ عِمرَانَ وَهِي قَولُهُ: ﴿ E D C B A @ ? > ﴾ [آل عمران:٣١] **الآيَة.**

وَآيَةٌ فِي سُورَةِ المَائِدَةِ، وَهِي قَولُهُ: ﴿ s r q p o n m l y x w v u t ﴾ [المائدة:٥٤] الآيَة.

وَآيَةٌ فِي يُونُسَ، وَهِي قَولُهُ: ﴿ ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / ﴾ [يونس:٦٢-٦٣].

ثُمَّ صَارَ الأَمرُ عِندَ أَكثَرِ مَن يَدَّعِي العِلمَ، وَأَنَّهُ مِن هُدَاةِ الخَلقِ وَحُفَّاظِ الشَّرعِ إِلَىٰ أَنَّ الأَولِيَاءَ لَابُدَّ فِيهِم مِن تَركِ اتِّبَاعِ الرُّسُلِ، وَمَن تَبِعَهُم فَلَيسَ مِنهُم.

وَلَابُدَّ مِن تَركِ الجِهَادِ، فَمَن جَاهَدَ فَلَيسَ مِنهُم، وَلَابُدَّ مِن تَركِ الإِيمَانِ وَالتَّقوَىٰ، فَمَن تَعَهَّدَ بِالإِيمَانِ وَالتَّقوَىٰ فَلَيسَ مِنهُم، يَا رَبَّنَا نَسأَلُكَ العَفوَ وَالعَافِيَةَ؛ إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ[١].

---

[١] هـذا الأصـل ركز فيه شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب :

(١) **قال شيخنا النجمي -حفظه الله-:** $الولي هو من والىٰ اللهT، فامتثل أوامره واجتنب نواهيه،وصدق خبره، ووالىٰ من والاه الله وعادىٰ من عاداه الله امتثالًا لقوله تعالىٰ: ﴿ ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 : ; < = > ? @ A B C D E F G H I J K L M N O P Q R S T U V W X ﴾ [المجادلة:٢٢]#.

علىٰ

الصوفية[١] الذين يزعمون أن الأولياء هم الذين يظهرون بالأحوال، والكرامات، وتبدو منهم الشطحات، فزعموا أن الشيخ هو من تقرب بالقرب من الله إلىٰ أن يصل إلىٰ درجة تسقط عنه فيها التكاليف، فيشرب الخمر فتنقلب في فمه لبنًا؛ وإذا زنىٰ بامرأة: قالوا إنما أفاض عليها من نوره.

ومن أراد أن يعرف ما عليه الصوفية من الشطح، والكفر، والادِّعاءات العريضة لحقوق اللهT غيرَ مبالين ولا مكترثين، فليرجع إلىٰ كتاب $الكشف عن الصوفية لأول مرة#، وكتاب $هذه هي الصوفية# لعبد الرحمن الوكيل.

بل إنهم يجعلون ذلك فخرًا لهم، وإنهم قد بلغوا إلىٰ مرتبة لم يبلُغها غيرهم، وإن الشيخ هو الذي يرىٰ الله عيانًا! ويتحدث معه! ويلقىٰ النبيﷺ وما أشبه ذلك

---

(١) **الصوفية في اللغة**: مأخوذة من مادة (صوف)، وقد جاءت علىٰ عدة معانٍ؛ فتطلق ويراد بها الصوف المعروف من شعر الحيوانات؛ وتطلق كلمة (صوف) علىٰ الميل فيقال: صاف السهم عن الهدف بمعنىٰ: مال عنه، وصاف عن الشر؛ أي: عدل عنه إلىٰ غير ذلك من معاني الصوفية في اللغة، والتي تبحث في مظانها.

وأما تعريفها اصطلاحًا: فلها عدة تعريفات اختلفت باختلاف مراحلها التي مرت بها، ولكن من أبرز تعريفاتها:

١ - التصوف هو تجريد العمل لله تعالىٰ، والزهد في الدنيا، وترك دواعي الشهرة، والميل إلىٰ التواضع والخمول وإماتة الشهوات في النفس، وهذا يصدق علىٰ التصوف في عهده الأول.

٢ - قيل إن سبب التسمية للمتصوفة بهذا الاسم: إنما كان نسبة إلىٰ لبسهم الصوف الذي يعبر عن الزهد والتقشف، وترك التنعم والملذات المباحة إلىٰ غير ذلك... من التعريفات التي ذكرها صاحب كتاب $فرق معاصرة تنتسب إلىٰ الإسلام# (ص٥٧٨ وما بعدها) بتصرف.

من الادِّعاءات التي لعب بهم الشيطان فيها، فأضلهم عن الطريق المستقيم، فأخرجهم إلىٰ طريقة أصحاب الجحيم فهم يزعمون أن هؤلاء هم أولياء الله ليس غيرهم؛ أما من اتبع الكتاب والسنة وعُني بالحديث والآثار، وتكلم في الفقه، وأمر بالاستقامة علىٰ شرع الله فهؤلاء يُسَمَّون أهل الظاهر.

وشيوخ الصوفية عندهم أهل الباطن، بل إنهم حقيقة هم أهل الباطل -بدل النون: لام-؛ فشيخ الإسلام : يشكو من أهل زمانه؛ لأنهم يجعلون أولياء الله مَنْ هم أعداء لله، وحاربوه أشد المحاربة، ولكن هل القولُ قولهم، والاعتقاد اعتقادهم؟ لا، ولكن حقيقة الولي هو من يعظم كتاب الله، ويعظم سنة رسول الله ﷺ ويتبع الرسول ﷺ في كل قول وفعل، وفي كل أمر واعتقاد؛ قال الله تعالىٰ: ﴿ < ? @ L K J I H G F E D C B A ﴾ [آل عمران:٣١].

وقال تعالىٰ: ﴿ ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / ﴾ [يونس:٦٢-٦٣].

أي: الذين آمنوا بالله، وكانوا يتقون الله ويفعلون أوامره ويجتنبون نواهيه ويؤمنون بالله، ويؤمنون بوعده ووعيده، وبعثه ولقائه وجنته وناره ويجاهدون في سبيل ذلك بألسنتهم، وأقلامهم، وسيوفهم؛ هؤلاء هم الأولياء.

ولقد أوضح الفروق بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان شيخ الإسلام ابن تيمية : في كتابه المسمىٰ بـ: $الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان#؛ ألا إن أولياء الله هم أهل الحديث، ومتَّبعو الآثار، المدونون لها، والعاكفون علىٰ حفظها وتدوينها والعمل بها والدعوة إليها! هؤلاء هم أولياء الله! فإياك أن تُخدع، وأن يجتاحك الكذَّابون أصحاب الادعاءات الكاذبة. وبالله التوفيق.

الأَصلُ السَّادِسُ: رَدُّ الشُّبهَةِ[١] الَّتِي وَضَعَهَا الشَّيطَانُ فِي تَركِ القُرآنِ وَالسُّنَّةِ وَاتِّبَاعِ الآرَاءِ وَالأَهوَاءِ المُتَفَرِّقَةِ المُختَلِفَةِ، وَهِيَ أَنَّ القُرآنَ وَالسُّنَّةَ لَا يَعرِفُهُمَا إِلَّا المُجتَهِدُ[٢] المُطلَقُ، وَالمُجتَهِدُ هُوَ المَوصُوفُ بِكَذَا وَكَذَا أَوصَافًا لَعَلَّهَا لَا تُوجَدُ تَامَّةً

---

(١) الشبهة كما ذكرها الجرجاني في كتاب $التعريفات# (ص١٦٥): $إنها في الأصل هي: ما لم يتيقن كونه حرامًا أو حلالًا#. اهـ

وتطلق هنا ويراد بها جعل الباطل في صورة الحق، وهذه حجة كل مبطل من شياطين الإنس والجن إذ إن من الذنوب ما هي شهوات، ومنها ما هي شبهات؛ فالشهوات أعني بها فعل الأشياء المحرمة المعلومة من الدين بالضرورة كتحريم شرب الخمر، وفعل الزنا واللواط أو التهاون بالصلاة أو بغير ذلك من المعاصي، وهي التي قال الله فيها: ﴿ z y x w v } | { ~ ے فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ۝٥٩ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ © صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْـًٔا ﴾ [مريم:٥٩-٦٠].

وأما الشبهات فهي التي يوردها أعداء الدين علىٰ بعض المسلمين لتزيين باطلهم من بدع، وكفريات أو بغير ذلك من المعاصي التي دون ذلك، وإلقاء المتشابه من القول علىٰ بعض المسلمين ليقعوا فيما دعوا إليه من الضلال.

دل علىٰ ما قلناه من الحذر من الشبهات التي يلقيها أعداء الإسلام علىٰ بعض المسلمين ما ورد في $مسند الإمام أحمد#، وأبي داود -واللفظ له- بإسناد صحيح صححه الألباني في $المشكاة# (رقم ٥٤٨٨) من حديث عمران بن حصين يحدث، قال: قال رسول الله ﷺ: **$من سمع بالدجال فلينأ عنه؛ فوالله إن الرجل ليأتيه وهو يحسب أنه مؤمن، فيتبعه مما يبعث به من الشبهات أو لِمَا يبعث به من الشبهات#.**

ومن تلك الشبهات ما أورده أعداء التوحيد في هذا الأصل من الدعوة إلىٰ ترك العمل بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ بحجة أن القرآن والسنة لا يعرفهما ولا يفهمهما إلا المجتهد المطلق، كما سيبين بطلان مقالتهم هذه شيخُنا أحمد بن يحيىٰ النجمي -حفظه الله ورعاه-، والله أعلم.

(٢) قد بين فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين في $شرحه علىٰ هذه الأصول

فِي أَبِي بَكرٍ وَعُمَرَ، فَإِن لَم يَكُن الإنسَانُ كَذَلِكَ فَليُعرِض عَنهُمَا فَرضًا حَتمًا لَا شَكَّ وَلَا إِشكَالَ فِيهِ، وَمَن طَلَبَ الهُدَىٰ مِنهُمَا فَهُوَ: إِمَّا زِندِيقٌ، وَإِمَّا مَجنُونٌ؛ لأَجلِ صُعُوبَةِ فَهمِهِمَا.

فَسُبحَانَ الله وَبِحَمدِهِ! كَم بَيَّنَ الله سُبحَانَهُ شَرعًا وَقَدَرًا، خَلقًا وَأَمرًا فِي رَدِّ هَذِهِ الشُّبهَةِ المَلعُونَةِ مِن وُجُوهٍ شَتَّىٰ بَلَغَت إِلَىٰ حَدِّ الضَّرُورِيَّاتِ العَامَّةِ، وَلَكِنَّ أَكثَرَ النَّاسِ لَا يَعلَمُونَ: ﴿ a ` _ ^] \ [Z Y X W V U
o n m l k j i h g f e d c b
} | { z y x w v u t s r q p
~ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكۡرَ وَخَشِيَ ٱلرَّحۡمَٰنَ بِٱلۡغَيۡبِۖ © بِمَغۡفِرَةٖ وَأَجۡرٖ كَرِيمٍ ﴾[1] [يس:٧-١١].

الستة# (ص١٨١) طبعة دار الثريا، تعريف الاجتهاد، فقال: $الاجتهاد في اللغة: بذل الجهد لإدراك أمر شاق.

واصطلاحًا: بذل الجهد لإدراك حكم شرعي#؛ ثم سأذكر لك -أخي القارئ الكريم- تعريف المجتهد المطلق أو بمعنىٰ آخرىٰ: هو المفتي، فقد قال في ذلك الشيخ عبيد بن عبد الله الجابري في كتاب $تنبيه ذوي العقول السليمة# (ص٧٥): $المجتهد المطلق هو العالم الذي يستفرغ وسعه بالنظر في الأدلة حتىٰ يحصل له الظن الغالب أو القطع بحكم شرعي، وهو الذي يبحث عن الحق بدليله#. اهـ

(١) القول في الآية: العذاب؛ وأكثرهم؛ أي: كفار العرب الذين ماتوا علىٰ الكفر.

الأغلال: القيود التي تشد بها أيديهم إلىٰ أعناقهم.

مقمحون: رافعو رءوسهم، غاضو أبصارهم يوم القيامة وهم في النار.

آخِرُهُ، وَالحَمدُ لله رَبِّ العَالَمِينَ.

وَصَلَّىٰ الله عَلَىٰ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحبِهِ وَسَلَّم تَسلِيمًا كَثِيرًا إِلَىٰ يَومِ الدِّينِ [١].

---

[١] قوله : $الأصل السادس: رَدُّ الشُّبْهَةِ الَّتِي وَضَعَهَا الشَّيْطَانُ فِي تَركِ القُرْآنِ وَالسُّنَّةِ وَاتِّبَاعِ الآرَاءِ وَالأَهوَاءِ المُتَفَرِّقَةِ المُخْتَلِفَةِ، وَهِيَ أَنَّ القُرآنَ وَالسُّنَّةَ لَا يَعْرِفُهُمَا إِلَّا المُجْتَهِدُ المُطْلَقُ، وَهُوَ المَوصُوفُ بِكَذَا وَكَذَا أَوْصَافًا لَعَلَّهَا لَا تُوجَدُ تَامَّةً فِي أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ، فَإِنْ لَم يَكُنْ الإِنْسَانُ كَذَلِكَ فَلْيُعْرِض عَنْهُمَا فَرْضًا حَتْمًا لَا شَكَّ وَلَا إِشْكَالَ فِيهِ، وَمَن طَلَبَ الهُدَىٰ مِنْهُمَا فَهُوَ: إِمَّا زِنْدِيقٌ، وَإِمَّا مَجْنُونٌ؛ لأَجْلِ صُعُوبَةِ فَهْمِهِمَا#.

أقول: إن هذه الشبهة شبهة شيطانية توصل بها الشيطان إلىٰ تعطيل الكتاب والسنة وصرف الفهم عنها صرفًا كلِّيًّا، وإن هذا لصدٌّ عن سبيل الله وتكذيب لكتاب الله حيث يقول تعالىٰ: ﴿ μ ¶ , لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ [القمر:٢٢].

فالله تعالىٰ يقول -إخبارًا عن نفسه- بأنه يسر القرآن للذكر، وأكد ذلك الخبر باللام الموطئة للقسم؛ وهؤلاء يقولون أن فهم القرآن والسنة مستحيل، وغير ممكن إلا للمجتهد المطلق الذي يشترطون فيه:

١ - أن يكون قد حفظ علىٰ الأقل مائة ألف حديث عن ظهر قلب.

٢ - حفظ القرآن، وما قيل فيه من التفاسير.

٣- حفظ الأقوال الفقهية بأدلتها إلىٰ غير ذلك، وما هذه إلا مناقضة لما أخبر الله به عما جعله في كتابه من اليُسر للقارئين، والمتفقهين، والمتعلمين.

وقال -جل من قائل-: ﴿ 5 6 7 8 9 : ; < = > ﴾ [النحل:٤٤].

فأخبر الله تعالىٰ أنه أنزل علىٰ رسول اللهﷺ القرآن ليبينه الرسولﷺ بأقواله، وأفعاله، وتشريعاته التي هي ترجمة للقرآن؛ فهل أمَرَ رسول اللهﷺ بمستحيل؟

حاشىٰ وكلا!! وإنما أمره ممكن، وقد قال الله تعالىٰ: ﴿ v u t y x w ﴾ [آل عمران:١٣٨].

فكيف يكون بيانًا وهو مستحيل الفهم؟! ما هذه إلا فرية شيطانية أراد بها الشيطان صرف العقول عن التفكر في كتاب الله وفي سنة رسول اللهﷺ.

وقال الله تعالىٰ: ﴿ B C D E F G H I J K ﴾ [الإسراء:٤١].

فقوله تعالىٰ: ﴿ B C D E F ﴾؛ أي: نوَّعناه، وبيناه؛ فمنه الأحكام، ومنه الأوامر، ومنه النواهي، ومنه القصص لأمورٍ قد مضت، ومنه الإخبار بالغيبيات التي ستأتي، ومنه المواعظ، ووصف الجنة والنار، وأوصاف المؤمنين، والكافرين، والمنافقين، وما أعده الله لهؤلاء وهؤلاء؛ كل ذلك قد ورد في القرآن بالإضافة إلىٰ ما أخبر الله به عن نفسه من أسمائه الحسنىٰ، وصفاته العلا، وعمَّا له من الكمالات التي لا تبلغ العقول وصفها -جل شأنه وتعالت صفاته، وتقدست أسماؤه-.

فهل القرآن لم ينزل إلا ليتلىٰ في المآتم فقط غير متخذينه شرعًا، ولا آخذين منه الهداية والأحكام؟

إن هذا لهو الضلال البعيد! وقد قال النبيﷺ: $**رحم الله امرأً سمع مقالتي فوعاها وأدَّاها لمن لم يسمعها، فرُبَّ مبلغ أوعىٰ له من سامع**#.

وفِي رواية: $**نضَّر الله امرأ سمع مقالتي فوعاها وأداها إلىٰ من لم يسمعها،**

فرُبَّ حامل فقه غير فقيهٍ، وربَّ حامل فقه إلىٰ من هو أفقه منه#[١].

وقال ﷺ: **$ألا ليُبَلِّغِ الشاهدُ الغائبَ فرُبَّ مُبلَّغٍ أوعىٰ من سامعٍ#**[٢].

وقال ﷺ: **$بلِّغوا عني ولو آية، وحدِّثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، ومن كذب عليَّ متعمدًا، فليتبوَّأ مقعده من النار#**[٣].

فهل أمر الله ورسوله بحفظ القرآن والسنة، وتبليغهما يُعَدُّ عَبَثًا؟ إذا قلنا إنه لا يمكن للإنسان المتعلم أو العالم أن يفهم معاني كتاب الله، ومعاني سنة رسول الله ﷺ، هل أمر الله عباده بالمستحيل حين قال: ﴿ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ [التوبة:١٢٢]؟!!

لقد بلغ الشيطان أمنيته بهذه الشبهة حين صرف بها الناس عن كتاب الله، وسنة رسول الله ﷺ، بل إنه لم يُصِبِ الشيطان من أهل العلم بمثل هذه الشبهة؛ حين صرفهم عن شرع الله تعلُّمًا وتعليمًا واجتهادًا واستنباطًا، بل وجعل ذلك -أي: البحث عن معاني كتاب الله ومعاني سنة رسول الله ﷺ والاجتهاد في الاستنباط منهما- جعل ذلك ضربًا من الجنون ونوعًا من الزندقة.

بل قال لأولئك القوم الذين قالوا هذه المقالة: إنه لابد لكل واحد منهم أن يقلد إمامًا من الأئمة الأربعة لا يخرج عن أقواله وآرائه واجتهاداته؛ ولا يجوز له إذا قلَّد ذلك الإمام أن يحيد عن رأيه -ولو قدرَ أُنْمُلَةٍ-؛ بل إنه يجب عليه ألا يقلِّدَ

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) أخرجه البخاري (١٧٤١)، ومسلم (١٦٧٩) من حديث أبي بكرة t .

(٣) أخرجه البخاري (٣٤٦١) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما .

أحدًا غيره، وإذا وجد الدليل خلاف قول إمامه، فليؤول الدليل حتىٰ يتناسب مع قول إمامه لأنه زعم لإمامه الحصانة عن الخطأ؛ وإنه لا يتصور منه وقوع الخطأ.

بل كادوا أن يصرحوا بعصمة أئمتهم، وكلٌّ منهم يعتقد في إمامه العصمة، وأن قوله هو الحق وإن خالف الدليل، وإذا رأيته يخالف الدليل، فاتهم عقلك! واتهم رأيك! واجعل قول الإمام في حصانة عن الخطأ والبطلان...

يا لها من كارثة!! أدَّت بأصحاب هذه المذاهب أن يختلفوا اختلافًا أدَّىٰ إلىٰ الفرقة والتباغض والتعادي والتناحر؛ بل كل أهل مذهب يضللون الآخرين في أقوالهم أو بعض أقوالهم مع أن النبيﷺ لم يَلُمْ أحدًا علىٰ الاجتهادات التي تكون من الناس المؤهَّلين في اللغة والقواعد حين قال: **$لا يصلينَّ أحدٌ العصر إلا في بني قريظة#**[1].

فاجتهد قوم وصلَّوا قبل وصولهم، وقالوا: إنما أراد الحثَّ والتعجيل بالسير، فإذا كنا قد بلغنا جُهدنا ودخل وقت العصر قبل أن نصل إلىٰ بني قريظة، فنحن نصلي الصلاة لوقتها ونحمل قولهﷺ هذا علىٰ أنه إنما أراد الإسراع في الذهاب؛ والتزم قوم باللفظ فأخروا صلاة العصر حتىٰ وصلوا إلىٰ بني قريظة، وقد فات وقت العصر، فأُخبر النبيﷺ بذلك ولم يعنِّف أحدًا منهم، ولا قال لأحدٍ منهم: أنت أخطأت!

يا سبحان الله! لماذا خلق الله لنا العقول؟!! أليس خلقها لنا لنفكر بها، ونتفكر في آياته القرآنية ونتفكر في آياته الكونية؟

---

(١) أخرجه البخاري (٩٤٦)، ومسلم (١٧٧٠) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

هذا هو الغرض الذي خلق الله لنا العقول من أجله؛ بل ذمَّ الله الناس الذين لهم قلوب لا يفقهون بها، ولهم أعين لا يبصرون بها، ولهم آذانٌ لا يسمعون بها، فقال: ﴿ ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / 0 1 2 3 4 5 6 7 9 : ; < = ? @ A ﴾ [الأعراف:١٧٩].

وقال -جل وعلا-: ﴿ N O P Q R S T U V W X Y Z [\ ] ^ _ ` a b c d e f g ﴾ [محمد:٢٢-٢٤].

وأخيرًا: فإن القرآن مليء بالرد علىٰ هذه الشبهة، والسنة مليئة بالرد عليها، ولكن ماذا نقول إذا كان أهل العلم الذين يُظن بأنهم سيردون علىٰ هذه الشبهة، ويُبطلونها بالأدلة الصحيحة الصريحة من كتاب الله، ومن سنة رسول الله هم الذين قرَّروها! وانبروا لمحاربة من ردها، واتهامه بالزندقة! وإنا لله وإنا إليه راجعون.

˜ õ õ õ ™

متن

القـواعـد الأربـعـة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

المَتنُ:

أَسْأَلُ اللهَ الكَرِيمَ رَبَّ العَرْشِ العَظِيمِ أَنْ يَتَوَلَّاكَ فِي الدُّنيَا وَالآخِرَةِ، وَأَنْ يَجْعَلَكَ مُبَارَكًا أَينَمَا كُنْتَ، وَأَنْ يَجْعَلَكَ مِمَّنْ إِذَا أُعطِيَ شَكَرَ، وَإِذَا ابتُلِيَ صَبَرَ، وَإِذَا أَذنَبَ اسْتَغْفَرَ، فَإِنَّ هَؤلَاءِ الثَّلَاثَ عُنوَانُ السَّعَادَةِ.

اعْلَمْ -أَرْشَدَكَ اللهُ لِطَاعَتِهِ: أَنَّ الحَنِيفِيَّةَ مِلَّةَ إِبرَاهِيمَ: أَنْ تَعبُدَ اللهَ وَحْدَهُ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ، وَبِذَلِكَ أَمَرَ اللهُ جَمِيعَ النَّاسِ وَخَلَقَهُم لَهَا، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ C H G F E D ﴾ [الذاريات:٥٦].

فَإِذَا عَرَفْتَ أَنَّ اللهَ خَلَقَكَ لِعِبَادَتِهِ فَاعْلَمْ: أَنَّ العِبَادَةَ لَا تُسَمَّىٰ عِبَادَةً إِلَّا مَعَ التَّوحِيدِ، كَمَا أَنَّ الصَّلَاةَ لَا تُسَمَّىٰ صَلَاةً إِلَّا مَعَ الطَّهَارَةِ.

فَإِذَا دَخَلَ الشِّركُ فِي العِبَادَةِ فَسَدَتْ؛ كَالحَدَثِ إِذَا دَخَلَ فِي الطَّهَارَةِ.

فَإِذَا عَرَفْتَ أَنَّ الشِّرْكَ إِذَا خَالَطَ العِبَادَةَ أَفْسَدَهَا وَأَحْبَطَ العَمَلَ وَصَارَ صَاحِبُهُ مِنَ الخَالِدِينَ فِي النَّارِ؛ عَرَفْتَ أَنَّ أَهَمَّ مَا عَلَيْكَ: هُوَ مَعْرِفَةُ ذَلِكَ، لَعَلَّ اللهَ أَنْ يُخَلِّصَكَ مِن هَذِهِ الشَّبَكَةِ وَهِي الشِّركُ بِاللهِ الَّذِي قَالَ اللهُ فِيهِ:

﴿ Z Y X W V U T ` _ ^] \ [﴾ [النساء:١١٦].

وَذَلِكَ بِمَعْرِفَةِ أَرْبَعِ قَوَاعِدَ ذَكَرَهَا اللهُ تَعَالَىٰ فِي كِتَابِهِ:

القَاعِدَةُ الأُولَى

أَن تَعْلَمَ أَنَّ الكُفَّارَ الَّذِينَ قَاتَلَهُم رَسُولُ الله ﷺ مُقِرُّونَ بِأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ هُوَ الخَالِقُ المُدَبِّرُ، وَأَنَّ ذَلِكَ لَم يُدْخِلْهُمْ فِي الإِسْلَامِ.

وَالدَّلِيلُ: قَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ [يونس:٣١].

القَاعِدَةُ الثَّانِيَةُ

أَنَّهُم يَقُولُون: مَا دَعَوْنَاهُم وَتَوَجَّهْنَا إِلَيْهِم إِلَّا لِطَلَبِ القُرْبَةِ وَالشَّفَاعَةِ.

فَدَلِيلُ القُرْبَةِ: قَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ [\ ] ^ _ ` a b c d e f g h i j k l m n o p q r s t u v w x ﴾ [الزمر:٣].

وَدَلِيلُ الشَّفَاعَةِ: قَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ r s t u v w x y z { | } ~ ٱللَّهِ ﴾ [يونس:١٨].

وَالشَّفَاعَةُ شَفَاعَتَانِ: شَفَاعَةٌ مَنْفِيَّةٌ، وَشَفَاعَةٌ مُثْبَتَةٌ:

فَالشَّفَاعَةُ المَنفِيَّةُ: مَا كَانَتْ تُطْلَبُ مِن غَيْرِ اللهِ فِيمَا لا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إِلَّا اللهُ.

وَالدَّلِيلُ: قَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ \ ] ^ _ ` a b c d e f g h i j k l m n o p q ﴾ [البقرة:٢٥٤].

وَالشَّفَاعَةُ المُثْبَتَةُ: هِي الَّتِي تُطْلَبُ مِنَ اللهِ، وَالشَّافِعُ مُكْرَمٌ بِالشَّفَاعَةِ، وَالمَشْفُوعُ

لَهُ: مَن رَضِيَ اللهُ قَوْلَهُ وَعَمَلَهُ بَعْدَ الإِذْنِ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة:٢٥٥].

القَاعِدَةُ الثَّالِثَةُ

أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ ظَهَرَ عَلَىٰ أُنَاسٍ مُتَفَرِّقِينَ فِي عِبَادَاتِهِم: مِنْهُمْ مَن يَعْبُدُ المَلَائِكَةَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَعْبُدُ الأَنبِيَاءَ وَالصَّالِحِينَ، وَمِنْهُمْ مَن يَعْبُدُ الأَحْجَارَ وَالأَشْجَارَ، وَمِنْهُمْ مَن يَعْبُدُ الشَّمْسَ وَالقَمَرَ، وَقَاتَلَهُم رَسُولُ اللهِ ﷺ وَلَم يُفَرِّقْ بَينَهُمْ.

وَالدَّلِيلُ قَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقَـٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ © وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾ [الأنفال:٣٩].

وَدَلِيلُ الشَّمْسِ وَالقَمَرِ: قَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ © وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ ´ µ ¶ ¸ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [فصلت:٣٧].

وَدَلِيلُ المَلَائِكَةِ: قَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ \ [^ _ ` a b﴾ [آل عمران:٨٠].

وَدَلِيلُ الأَنبِيَاءِ: قَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿L M N O P Q R S T
U V W X Y Z | \ ] ^ _ ` a b c d e f h
i j k l | n o p q r s t u v | x y z { ﴾
[المائدة:١١٦].

وَدَلِيلُ الصَّالِحِينَ: قَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ ¶ ¸ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ

ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴾ [الإسراء:٥٧].

وَدَلِيلُ الأَحْجَارِ وَالأَشْجَارِ: قَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ { ~ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴾ [النجم:١٩-٢٠].

وَحَدِيثُ أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ t قَالَ: $خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ إِلَىٰ حُنَينٍ وَنَحْنُ حُدَثَاءُ عَهْدٍ بِكُفْرٍ، وَلِلمُشرِكِيْنَ سِدْرَةٌ يَعكُفُونَ عِنْدَهَا وَيَنُوطُونَ بِهَا أَسْلِحَتَهُمْ يُقَالُ لَهَا: ذَاتُ أَنْوَاطٍ، فَمَرَرْنَا بِسِدْرَةٍ فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ، كَمَا لَهُم ذَاتُ أَنْوَاطٍ...#[1] الحَدِيثُ.

القَاعِدَةُ الرَّابِعَةُ

أَنَّ مُشْرِكِي زَمَانِنَا أَغْلَظُ شِرْكًا مِنَ الأَوَّلِينَ؛ لأَنَّ الأَوَّلِينَ يُشْرِكُونَ فِي الرَّخَاءِ وَيُخْلِصُونَ فِي الشِّدَّةِ، وَمُشْرِكُو زَمَانِنَا شِرْكُهُمْ دَائِمًا فِي الرَّخَاءِ وَالشِّدَّةِ.

وَالدَّلِيلُ قَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ 3 4 5 6 7 8 9 : ; < = > ? @ A B ﴾ [العنكبوت:٦٥].

تَمَّت، وَصَلَّىٰ اللهُ عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّم.

~ õ õ õ ™

(١) أخرجه الترمذي (٢١٨٠)، وأحمد (٢١٣٩٣)، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي.

التعليق على
القواعد الأربعة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب : :

أَسْأَلُ اللهَ الكَرِيمَ رَبَّ العَرْشِ العَظِيمِ أَنْ يَتَوَلَّاكَ فِي الدُّنيَا وَالآخِرَةِ، وَأَنْ يَجْعَلَكَ مُبَارَكًا أَينَمَا كُنْتَ، وَأَنْ يَجْعَلَكَ مِمَّنْ إِذَا أُعطِيَ شَكَرَ، وَإِذَا ابتُلِيَ صَبرَ، وَإِذَا أَذنَبَ اسْتَغْفَرَ، فَإِنَّ هَؤلَاءِ الثَّلَاثَ عُنوَانُ السَّعَادَةِ [١].

---

[١] الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ نبينا محمد، وعلىٰ آله وصحبه.

وبعد: فقد هيأ الله في القرن الثاني عشر الشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله تعالىٰ- فقام بدعوة التوحيد في نجد، وكتب الله لها النجاح بعد جهاد مرير وطويل، فألَّف المؤلفات وجاهد المشركين حتىٰ دخلوا في دين الله، وعادوا إلىٰ رحابه؛ فوحدوه.

ومن ضمن مؤلفاته وأعظمها نفعًا: الثلاثة الأصول، وكتاب التوحيد، وكشف الشبهات، والقواعد الأربع، والتي هي مقصود بحثنا الآن.

قوله: $أَسْأَلُ اللهَ الكَرِيمَ رَبَّ العَرْشِ العَظِيمِ أَنْ يَتَوَلَّاكَ فِي الدُّنيَا وَالآخِرَةِ، وَأَنْ يَجْعَلَكَ مُبَارَكًا أَينَمَا كُنْتَ، وَأَنْ يَجْعَلَكَ مِمَّنْ إِذَا أُعطِيَ شَكَرَ، وَإِذَا ابتُلِيَ صَبرَ، وَإِذَا أَذنَبَ اسْتَغْفَرَ، فَإِنَّ هَؤلَاءِ الثَّلَاثَ عُنوَانُ السَّعَادَةِ#.

يا لها من دعوة ما أعظمها فمن تولاه الله في الدنيا والآخرة فقد فاز ونجا، وحاز الدرجات العلا، وأكرمه الله بالجنة التي مَن دخلها يحيا فلا يموت، ويَصِحُّ فلا يَسْقَمُ ويشِبُّ فلا يَهْرَمُ.

إذا تولاك الله في الدنيا يسر لك العلم الصحيح المأخوذ من الكتاب والسنة ووفقك للعمل به، وإذا تولاك في الآخرة صرف عنك العذاب، ويسر لك أسباب السعادة، فكان البرزخ في حقك نعيمًا، وفزت بالجنة بعد ذلك، وإذا جعلك مباركًا أينما كنت فقد حصل لك ما يتمناه الصالحون من الأعمال الصالحة الخالصة لله جلَّ وعلاَ - التي يترتب عليها الخير في المواطن الثلاثة في الدنيا، والبرزخ، والآخرة، وقد دعا لك أيضًا فقال: $**وَأَنْ يَجْعَلَكَ مِمَّنْ إِذَا أُعطِيَ شَكَرَ، وَإِذَا ابتُلِيَ صَبَرَ، وَإِذَا أَذنَبَ اسْتَغْفَرَ، فَإِنَّ هَؤلاَءِ الثَّلاثَ عُنوَانُ السَّعَادَةِ**#.

أي: عامتها، فالله يجزي الشاكرين بالزيادة، ويعطي الصابرين الأجر العظيم الذي لا يحصره حاصر، ولا يعده عاد، كما في الحديث الصحيح أن النبي ﷺ قال فيما يرويه عن ربه: $**كل عمل ابن آدم يضاعف الحسنة بعشر أمثالها إلىٰ سبعمائة ضعف إلىٰ ما شاء الله، قال الله T: إلا الصوم، فإنه لي وأنا أجزي به يدع شهوته وطعامه من أجلي**#[1].

قوله: $**وإذا أذنب استغفر**# أي: إذا وقع في الذنب بسبب بشريَّته التي يتعرض بها إلىٰ ما يتعرض له البشر، فيقع في المعاصي من حيث يشعر أو لا يشعر، ولكن الله تعالىٰ وعد، ووعده الحق، أن يغفر لمن استغفر وأن يتوب علىٰ من تاب، وفي الحديث القدسي: $**قال الله تعالىٰ: يا عبادي إني حرمت الظلم علىٰ نفسي، وجعلته بينكم محرمًا فلا تظالموا، يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعًا فاستغفروني أغفر لكم يا عبادي...**#[2].

---

(١) أخرجه البخاري (١٨٩٤)، ومسلم (١١٥١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(٢) أخرجه مسلم (٢٥٧٧) من حديث أبي ذر رضي الله عنه.

وقد أخبر : في نهاية هذا الدعاء بأن هذه الثلاث الخصال هي: عنوان السعادة، ثم دخل في المقصود بقوله:

˜ õ õ õ ™

اعْلَمْ -أَرْشَدَكَ اللهُ لِطَاعَتِهِ: أَنَّ الحَنِيفِيَّةَ مِلَّةَ إِبرَاهِيمَ: أَنْ تَعبُدَ اللهَ وَحْدَهُ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ، وَبِذَلِكَ أَمَرَ اللهُ جَمِيعَ النَّاسِ وَخَلَقَهُم لَهَا، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ C D E F G H ﴾ [الذاريات:٥٦] [١].

---

[١] فهذه هي العبادة التي تسمىٰ عبادة، والتي يحوز صاحبها الأجر الوفير والخير الكثير، أما من خلط فعبد الله، وعبد غيره فإن عبادته لا تكون عبادة لله، وفي الحديث الذي يرويه النبي ﷺ عن ربه: **$قال الله تعالىٰ: أنا أغنىٰ الشركاء عن الشرك من عمل عملاً أشرك معي فيه غيري تركته وشركه#**[١].

ثم استدل علىٰ ذلك بقول الله تعالىٰ: ﴿ C D E F G H ﴾.

وفي هذه الآية ما يفيد بأن خلق الجن والإنس ما كان لشيء سوىٰ العبادة فالله خلق العباد ليعبدوه، ووعدهم بالمغفرة والجنة إذا عبدوه كما في حديث معاذ بن جبل t أن النبي ﷺ قال له: **$يا معاذ أتدري ما حق الله علىٰ العباد، وما حق العباد علىٰ الله؟** قلت: الله ورسوله أعلم، قال: **فإن حق الله علىٰ العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا، وحق العباد علىٰ الله ألَّا يعذب من لا يشرك به شيئًا**، فقلت: يا رسول الله: أفلا أبشر به الناس؟ **قال: لا تبشرهم فيتكلوا#**[٢].

وفي هذه الآية[٣] دلالة علىٰ أن المقصود بخلق الجن والإنس هو أن يبتليهم الله بالأوامر والنواهي، ويبتليهم بأمور أخرىٰ تعتبر صوارف عن طاعة الله I ، فمن تأثر بالصوارف، وترك العبادة كان من الخاسرين، ومن اشتغل بالعبادة، وأخذ من الدنيا ما يستعين به علىٰ مطلوبه كان من الناجين، وبالله التوفيق.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٩٨٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(٢) أخرجه البخاري (٢٨٥٦)، ومسلم (٣٠).
(٣) أي قول الله تعالىٰ: ﴿ C D E F G H ﴾.

فَإِذَا عَرَفْتَ أَنَّ اللهَ خَلَقَكَ لِعِبَادَتِهِ فَاعْلَمْ: أَنَّ العِبَادَةَ لَا تُسَمَّىٰ عِبَادَةً إِلَّا مَعَ التَّوحِيدِ، كَمَا أَنَّ الصَّلَاةَ لَا تُسَمَّىٰ صَلَاةً إِلَّا مَعَ الطَّهَارَةِ.

فَإِذَا دَخَلَ الشِّركُ فِي العِبَادَةِ فَسَدَتْ؛ كَالحَدَثِ إِذَا دَخَلَ فِي الطَّهَارَةِ[١].

---

[١] لقد مَثَّل الشيخ : بمثال حسي يعرف به المثال المعنوي؛ فالشرك يبطل العبادة كما أن الحدث يفسد الطهارة، فمن أدخل في عبادته شركًا فقد أفسدها، ولم تعد صالحة للاستفادة منها، كما أن الحدث إذا دخل في الطهارة سواء كان العبد قائمًا في صلاته أو خارجًا عنها، فإن طهارته قد بطلت، ولا يمكنه أن يستمر في صلاته إن كان يصلي أو يدخل فيها إن كان لا يصلي، وإن فعل فإنه يعتبر مجنونًا فاسد العقل إذا أراد أن العبادة تستقيم له مع وجود الشرك الأكبر، وكم في آيات القرآن ما يدل علىٰ ذلك: قال الله: ﴿ y x w v u t s r z } | { ~ ¿ ﴾ [النساء:٤٨].

وقال الله علىٰ لسان عيسىٰ بن مريم: ﴿ C D E F G H I J K L M N O P Q R S T V W X Y ﴾ [المائدة:٧٢].

وقال الله لنبيه محمد ﷺ: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [الزمر:٦٥].

ولمَّا ذكر الله الأنبياء في سورة الأنعام قال -جَلَّ من قائل-: ﴿ v w x y z { | } ~ ¿ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [الأنعام:٨٨].

˜ õ õ õ ™

فَإِذَا عَرَفْتَ أَنَّ الشِّرْكَ إِذَا خَالَطَ العِبَادَةَ أَفْسَدَهَا وَأَحْبَطَ العَمَلَ وَصَارَ صَاحِبُهُ مِنَ الخَالِدِينَ فِي النَّارِ؛ عَرَفْتَ أَنَّ أَهَمَّ مَا عَلَيْكَ: هُوَ مَعْرِفَةُ ذَلِكَ، لَعَلَّ اللهَ أَنْ يُخَلِّصَكَ مِن هَذِهِ الشَّبَكَةِ وَهِي الشِّركُ بِاللهِ الَّذِي قَالَ اللهُ فِيهِ:

﴿ T U V W X Y Z [\ ] ^ _ ` ﴾ [النساء:١١٦].

وَذَلِكَ بِمَعْرِفَةِ أَرْبَعِ قَوَاعِدَ ذَكَرَهَا اللهُ تَعَالَىٰ فِي كِتَابِهِ:

القَاعِدَةُ الأُولَى

أَن تَعْلَمَ أَنَّ الكُفَّارَ الَّذِينَ قَاتَلَهُم رَسُولُ الله ﷺ مُقِرُّونَ بِأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ هُوَ الخَالِقُ المُدَبِّرُ، وَأَنَّ ذَلِكَ لَم يُدْخِلْهُمْ فِي الإِسْلَامِ.

وَالدَّلِيلُ: قَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ [يونس:٣١]. [١].

---

[١] مقتضىٰ هذه القاعدة أن توحيد الربوبية لا يدخل به أحد في الإسلام، فمن أقر بتوحيد الربوبية أقر بأن الله هو الخالق، وهو الرازق، وهو المدبر، وهو المحيي والمميت الذي يُصح ويُمرض، والذي يغني ويفقر، والذي يسعد ويشقي، مَن أقرَّ بهذا لا يدخله إقراره به في الإسلام، لأن المشركين الذين قاتلهم رسول الله -صلىٰ الله عليه وسلم وعلىٰ آله وصحبه وسلم-، واستباح دماءهم، وغنم أموالهم، وسبىٰ نساءهم وأطفالهم كلهم كانوا يعتقدون أن الله هو الخالق الرازق المدبر لجميع الأمور، فلم ينفعهم ذلك شيئًا لأنهم عبدوا مع الله غيره، وكفروا برسالة محمد ﷺ، وأنكروا البعث وكفروا بالقرآن، وأنكروه، وزعموا أنه سحر أو كهانة.

فمن آمن بواحدة من هذه الأربع وكفر بثلاث أو من آمن بثلاث وكفر بواحدة؛ فإنه يعتبر كافرًا حلال الدم والمال بعد أن تقام عليه الحجة.

فمن اعتقد ربوبية الله علىٰ كل شيء، واعتقد رسالة محمد ﷺ، واعتقد البعث بعدا لموت، ولكنه استباح اتخاذ وسائط مع اللهT يدعوهم من دون الله، ويزعم أنهم شفعاء إلىٰ الله، فإنه في هذه الحالة لا تقبل منه صلاة، ولا صوم، ولا زكاة، ولا حج، ولا يقبل الله منه أي عمل صالح لقوله -جل وعلا-: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ © عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الزمر:٦٥]. وبالله التوفيق.

˜ õ õ õ ™

القَاعِدَةُ الثَّانِيَةُ

أَنَّهُم يَقُولُون: مَا دَعَوْنَاهُم وَتَوَجَّهْنَا إِلَيْهِم إِلَّا لِطَلَبِ القُرْبَةِ وَالشَّفَاعَةِ.

فَدَلِيلُ القُرْبَةِ: قَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ a ` _ ^] \ [u t s r q o n m l k j i h g f e d c b x w v ﴾ [الزمر:٣].

وَدَلِيلُ الشَّفَاعَةِ: قَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ y x w v u t s r z { | } ~ ٱللَّهِ ﴾ [يونس:١٨].

وَالشَّفَاعَةُ شَفَاعَتَانِ: شَفَاعَةٌ مَنْفِيَّةٌ، وَشَفَاعَةٌ مُثْبَتَةٌ:

فَالشَّفَاعَةُ المَنفِيَّةُ: مَا كَانَتْ تُطْلَبُ مِن غَيْرِ اللهِ فِيمَا لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إِلَّا اللهُ.

وَالدَّلِيلُ: قَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ e d c b a ` _ ^] \ q p o n m l k j i h g f ﴾ [البقرة:٢٥٤].

وَالشَّفَاعَةُ المُثْبَتَةُ: هِي الَّتِي تُطْلَبُ مِنَ اللهِ، وَالشَّافِعُ مُكْرَمٌ بِالشَّفَاعَةِ، وَالمَشْفُوعُ لَهُ: مَن رَضِيَ اللهُ قَوْلَهُ وَعَمَلَهُ بَعْدَ الإِذْنِ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ﴾ [البقرة:٢٥٥][١].

---

[١] مقتضىٰ هذه القاعدة أن الذين عبدوا غير الله لم يعبدوهم علىٰ أنهم هم الذين خلقوا هذا الكون، وهم الذين رزقوا من فيه، وهم الذين أحيوا الأحياء وأماتوا الموتىٰ، ولا أنهم هم الذين ينزلون الغيث من السماء، أو أنهم هم الذين ينبتون النبات من الأرض، كل ذلك ما كانوا يعتقدون أنهم يتصرفون فيه، ولكن كان قولهم وحجتهم أنهم عبدوهم من أجل أن يشفعوا لهم عند الله حيث قالوا: ﴿ ` f e d c b a ﴾ [الزمر:٣].

وحيث قالوا: ﴿ } | { ~ ٱللَّهِ ﴾ [يونس:١٨].

فما كان أحد منهم يعتقد أن تلك الآلهة تخلق أو ترزق أو تحيي أو تميت كل ذلك لم يكن، وإذا كان الأمر كذلك فيجب أن نتيقن أن هؤلاء القوم الذين كانوا يعتقدون هذا الاعتقاد، قاتلهم رسول الله ﷺ، واستباح دماءهم، وغنم أموالهم، وسبىٰ نساءهم وأطفالهم.

إذا علمنا ذلك علمنا أن من كان في هذا الزمان يعبد غير الله، ويزعم أن فيه الولاية التي تجعله مقربًا إلىٰ الله أكثر من غيره، وأن الله لا يرد له شفاعة ولا يرفض له طلبًا من اعتقد ذلك فإنه يعتبر مشركًا شركًا أكبر مخرجًا من الملة.

علمًا بأن الشفاعة تنقسم إلىٰ قسمين:

١ - شفاعة منفية.

٢ - شفاعة مثبتة.

فالشفاعة المنفية: هي التي تطلب من غير اللهT استقلالاً.

والشفاعة المثبتة: هي التي تطلب من الله، **وشروطها اثنان:**

١ - أن تطلب من اللهT دون سواه قال الله تعالىٰ: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ﴾ [البقرة:٢٥٥].

٢ - أن يكون المشفوع فيه ممن أذن الله له في الشفاعة فيه بأن يكون موحدًا قال ﷺ لما سأله أبو هريرة t : $من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ قال رسول الله ﷺ: **لقد ظننت يا أبا هريرة ألا يسألني عن هذا الحديث أحد أول منك لما رأيت من حرصك علىٰ الحديث؛ أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إله إلا الله خالصًا من قلبه** -أو: نفسه-#[1].

---

(١) أخرجه البخاري (٩٩).

وقد جاء في النصوص الشرعية أن الله يعطي الشفعاء الشفاعة فيشفعهم في أقوام قد صاروا حممًا، فيخرجونهم من النار، ثم يدخلونهم الجنة، ويضعونهم علىٰ نهر الحياة فينبتون فيه كما تنبت الحبة في حميل السيل[١].

فلا ينبغي، ولا يجوز أن تطلب الشفاعة من غير الله بل الذي ينبغي أن تطلب الشفاعة من الله، والله تعالىٰ يقول: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾. وجاء في النصوص[٢] أن الله يخرج أقوامًا بعد شفاعة الشافعين من النار، لم يفعلوا خيرًا يخرجهم بحثيات ثلاث، ومن أجل ذلك فينبغي أن تطلب الشفاعة من الله وحده، وبالله التوفيق.

˜ õ õ õ ™

(١) أخرجه البخاري (٨٠٦)، ومسلم (١٨٢) من حديث أبي هريرة t .

(٢) كما في الحديث الذي سبق تخريجه، وكما جاء في مسند الإمام أحمد : بترقيم إحياء التراث (١١٥١٤) من حديث أبي سعيد الخدري أيضًا بلفظ: $... **يقول الله: شفعت الملائكة، وشفع الأنبياء، وشفع المؤمنون وبقي أرحم الراحمين**، قال: **فيقبض قبضة من النار** -أو قال: **قبضتين**-، **ناس لم يعملوا لله خيرًا قط قد احترقوا حتىٰ صاروا حممًا**. قال: **فيؤتىٰ بهم إلىٰ ماء يقال له: ماء الحياة فيصب عليهم فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل** ... # الحديث.

وأما لفظ: $**ثلاث حثيات**# فقد ورد في أقوام لم يدخلوا النار أصلاً كما في الحديث الوارد عند الإمام الترمذي وغيره من حديث أبي أمامة الباهلي t قال: قال رسول الله ﷺ: $**وعدني ربي أن يدخل الجنة من أمتي سبعين ألفًا بلا حساب عليهم ولا عذاب مع كل ألف سبعون ألفًا، وثلاث حثيات من حثيات ربي**# وقد صحح الحديث الإمام الألباني في صحيح الجامع برقم (٧١١١)، والله أعلم.

القَاعِدَةُ الثَّالِثَةُ

أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ ظَهَرَ عَلَىٰ أُنَاسٍ مُتَفَرِّقِينَ فِي عِبَادَاتِهِم: مِنْهُمْ مَن يَعْبُدُ المَلَائِكَةَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَعْبُدُ الأَنبِيَاءَ وَالصَّالِحِينَ، وَمِنْهُمْ مَن يَعْبُدُ الأَحْجَارَ وَالأَشْجَارَ، وَمِنْهُمْ مَن يَعْبُدُ الشَّمْسَ وَالقَمَرَ، وَقَاتَلَهُم رَسُولُ اللهِ ﷺ وَلَم يُفَرِّقْ بَينَهُمْ.

وَالدَّلِيلُ قَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ © وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ﴾ [الأنفال:٣٩].

وَدَلِيلُ الشَّمْسِ وَالقَمَرِ: قَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ © وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ ´ µ ¶ ¸ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ [فصلت:٣٧].

وَدَلِيلُ المَلَائِكَةِ: قَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ \ [^ _ ` a b ﴾ [آل عمران:٨٠].

وَدَلِيلُ الأَنبِيَاءِ: قَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ L M N O P Q R S T U V W X Y Z [\ ] ^ _ ` a b c d e f h i j k l n o p q r s t u v x y z { ﴾ [المائدة:١١٦].

وَدَلِيلُ الصَّالِحِينَ: قَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ ¶ ¸ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴾ [الإسراء:٥٧].

وَدَلِيلُ الأَحْجَارِ وَالأَشْجَارِ: قَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ } ~ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴾ [النجم:١٩-٢٠].

وَحَدِيثُ أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ t قَالَ: $خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ إِلَىٰ حُنَينٍ وَنَحْنُ حُدَثَاءُ عَهْدٍ بِكُفْرٍ، وَلِلمُشرِكِيْنَ سِدْرَةٌ يَعكُفُونَ عِنْدَهَا وَيَنُوطُونَ بِهَا أَسْلِحَتَهُمْ يُقَالُ لَهَا: ذَاتُ أَنْوَاطٍ، فَمَرَرْنَا بِسِدْرَةٍ فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ، كَمَا لَهُم ذَاتُ أَنْوَاطٍ...#(١) الحَدِيثُ[١].

---

[١] إن مقتضىٰ هذه القاعدة أن كل ما دعي من دون الله من ملائكة، وأنبياء، وصالحين، وأشجار، وأحجار، وغير ذلك كلها عاجزة عن أن تسعف عابديها بالمطلوب أو تنجيهم من المهروب، والله I قد أخبر أن كل مدعوٍّ من دونه لا يملك شيئًا وإن قل، حيث يقول: ﴿ V W X Y Z [\ ] ^ _ ` a b c d e f g h i j k l m n o p q r ﴾ [فاطر:١٣-١٤].

وقال -جل من قائل-: ﴿ ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / 0 1 2 3 ﴾ [الحج:٧٣]. إلىٰ غير ذلك من الآيات التي تبين عجز المدعوين من دون اللهT، وضعفهم، وعدم قدرتهم علىٰ إعطاء من عبدهم شيئًا وإن قل، ثم إنهم أيضًا عاجزون عن جلب النفع لأنفسهم فكيف بغيرهم؟!

إذن؛ فليس هناك ميزة لأحد دون أحد في هذا الباب، وبهذا يعلم أن من عبد الملائكة أو عبد الأنبياء كـ: عيسىٰ، وعزير هو ومن عبد الأحجار والأشجار سواء كلهم مشركون بالله، والمعبودات من دون الله كلها عاجزة أن تنفع عابديها بشيء وإن قلَّ، وبالله التوفيق.

---

(١) أخرجه الترمذي (٢١٨٠)، وأحمد (٢١٣٩٣)، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي.

القَاعِدَةُ الرَّابِعَةُ

أَنَّ مُشْرِكِي زَمَانِنَا أَغْلَظُ شِرْكًا مِنَ الأَوَّلِينَ؛ لأَنَّ الأَوَّلِينَ يُشْرِكُونَ فِي الرَّخَاءِ وَيُخْلِصُونَ فِي الشِّدَّةِ، وَمُشْرِكُو زَمَانِنَا شِرْكُهُمْ دَائِمًا فِي الرَّخَاءِ وَالشِّدَّةِ.

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ 3 4 5 6 7 8 9 : ; < = > ? @ A B ﴾ [العنكبوت:٦٥][١].

---

[١] إن مشركي هذا الزمان زادوا علىٰ مشركي زمن النبي ﷺ كثيرًا بحيث إن الذين كانوا في زمن النبي ﷺ كانوا يشركون في الرخاء، ويخلصون في الشدة ويعتقدون أن الشدة لا ينفع فيها إلا الله، لم يبلغ بهم شركهم إلىٰ أن أولئك المدعوين يخلقون أو يرزقون أو يحيون ميتًا، وإذا نظرت فيما هو مدون في هذا الزمن من قِبل المشركين فإنك ترىٰ العجائب.

ولقد قرأت في كتاب يسمىٰ (نفس الرحمن) أتي به من اليمن قال فيه صاحبه:إ$ رجلا ً ضاف عبد القادر الجيلاني، وكان عبد القادر غائبًا، فأتىٰ ملك الموت فقبض روح الضيف.

فقالت زوجة عبد القادر: لقد أسأت إلىٰ عبد القادر حيث قبضت روح ضيفه وهو في بيته، وكان ملك الموت قد جمع أرواحًا فجعلها في زنبيل، ثم عرج بها إلىٰ الله ▌ .

فلما رجع عبد القادر أخبرته زوجته بالحادث، فذهب ولحق ملك الموت وهو يحمل الأرواح في ذلك الزنبيل، ثم أنه ضرب زنبيل ملك الموت فسقط من يد ملك الموت، فطارت الأرواح إلىٰ أجسادها، وعادوا كلهم أحياء#.

هذا الكلام قرأته في كتاب مطبوع قبل حوالي أربعين سنة، وما زلت أذكر اسمه (نفس الرحمن) فانظر إلىٰ هذه الرعونة!! وماذا بلغ إليه حال الخرافيين القبوريين الذين يعظمون أناسًا حتىٰ يجلعوهم آلهة، ويدَّعون ذلك بأخبار مكذوبة كهذا الخبر.

وأذكر أنه جاء إلينا وجلس عندنا رجلان من الصومال أحدهما اسمه علي بن الشيخ عثمان زياد، وهذا درسنا عليه في اللغة، والآخر اسمه عبد الصمد، وكمل دراسته في الجامعة الإسلامية فيما أذكر، قالا: قرأنا علىٰ رجل في الحبشة في كتاب الزُّبد لابن رسلان، فلما بلغنا إلىٰ قوله:

والأوليـــاء ذُو كرامـــاتِ الرُّتَـــبِ ومـــا انتهـــوا لولـــدٍ مـــن غيـــر أب

فقال ذلك الرجل: بلىٰ قد انتهوا، فقالا له: كيف ذلك؟ قال: إن فلانًا الشيخ الصوفي كان معروفًا بالصلاح، وكان عقيمًا، فسخر منه رجل يعرفه.

فقال: إن فلانًا حصل له ولد فسماه باسمي، وجمع أصحابه وذهب بهم إلىٰ ذلك الشيخ فلما جاءوا إلىٰ الشيخ وجدوا أن للشيخ ولدًا فنظروا إليه، وعادوا مقتنعين بأن للشيخ ولدًا وبعد أن ذهبوا ذهب بالولد.

فانظر أيضًا ما في هذه الرعونة، وأن فلانًا حصل له ولد، وهو لم يكن له ولد وإلىٰ غير ذلك من الأخبار الباطلة، والحكايات التي يوهمون فيها الناس بصدق ما يدعون من القدرة لأوليائهم علىٰ ما لا يقدر عليه إلا الله فنعوذ بالله من الضلال.

وبهذا تعرف مدىٰ ما بلغ إليه الخرافيون القبوريون في هذا الزمن من المبالغة في الشرك الذي زادوا به علىٰ شرك أبي جهل وأبي لهب، وأمثالهم من مشركي العرب الذين قاتلهم رسول اللهﷺ فاستباح دماءهم، وغنم أموالهم وسبىٰ نساءهم وأولادهم.

ومع ذلك فإن كثيرًا من الناس بل ممن يدعون العلم لم يخرجوهم من الإسلام، ولم يحكموا عليهم بالكفر مع أن الله ﷻ يقول لنبيه ﷺ:

﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ ۝ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الزمر:٦٥].

فالشرك الأكبر يهدم الإسلام ويبطله كما يبطل الحدث طهارة المتطهر، وبالله التوفيق.

وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد، وعلىٰ آله وصحبه.

والحمد لله رب العالمين.

˜ õ õ õ ™

متن

نواقض الإســـــلام

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

المَتنُ:

اعْلَمْ أَنَّ نَوَاقِضَ الإِسْلَامِ عَشَرَةُ نَوَاقِضَ:

الأَوَّلُ: الشِّرْكُ فِي عِبَادَةِ اللهِ تَعَالَىٰ.

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿r s t u v w x y z { | } ~ ¡ ¢﴾ [النساء: ١١٦].

وَقَالَ تعالَىٰ: ﴿J K L M N O P Q R S T U V W X Y﴾ [الْمَائدة: ٧٢].

وَمِنْهُ: الذَّبْحُ لِغَيْرِ اللهِ كَمَنْ يَذْبَحُ لِلجِنِّ أَو لِلقَبْرِ.

الثَّانِي: مَنْ جَعَلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الله وَسَائِطَ يَدْعُوهُمْ وَيَسْأَلُهُمْ وَيَتَوَكَّلُ عَلَيهِمْ؛ كَفَرَ إِجْمَاعًا.

الثَّالِثُ: مَنْ لَمْ يُكَفِّرِ الْمُشْرِكِينَ أَو شَكَّ فِي كُفْرِهِمْ أَوْ صَحَّحَ مَذْهَبَهُمْ كَفَرَ.

الرَّابِعُ: مَنِ اعتقَدَ أَنَّ غَيْرَ هَدْيِ النَّبِيِّ ﷺ أَكْمَلُ مِنْ هَدْيِهِ، أَوْ أَنَّ حُكْمَ غَيْرِهِ أَحْسَنُ مِنْ حُكْمِهِ، كَالَّذِي يُفَضِّلُ حُكْمَ الطَّوَاغِيتِ عَلَىٰ حُكْمِهِ؛ فَهُو كَافِرٌ.

الْخَامِسُ: مَنْ أَبْغَضَ شَيْئًا مِمَّا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ وَلَو عَمِلَ بِهِ كَفَرَ.

السَّادِسُ: مَنِ استَهْزَأَ بِشَيءٍ مِن دِينِ الرَّسُولِ أَوْ ثَوَابِ اللهِ أَوْ عِقَابِهِ كَفَرَ.

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿[\ ] ^ _ ` a b﴾ ﴿c d e f g﴾ [التوبة:٦٥-٦٦].

السَّابِعُ: السِّحْرُ: وَمِنْهُ الصَّرْفُ وَالعَطْفُ، فَمَنْ فَعَلَهُ أَوْ رَضِيَ بِهِ كَفَرَ.

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ : ; > = < ? @ A B C D ﴾ [البقرة: ١٠٢].

الثَّامِنُ: مُظَاهَرَةُ الْمُشْرِكِينَ وَمُعَاوَنَتُهُمْ عَلَىٰ الْمُسْلِمِينَ.

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ / 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 : ﴾ [الْمَائدة:٥١].

التَّاسِعُ: مَنِ اعْتَقَدَ أَنَّ بَعْضَ النَّاسِ يَسَعُهُ الخُرُوجُ عَنْ شَرِيعَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ كَمَا وَسِعَ الْخَضِرَ الْخُرُوجُ عَنْ شَرِيعَةِ مُوسَىٰ u فَهُوَ كَافِرٌ.

العَاشِرُ: الإِعْرَاضُ عَنْ دِينِ اللهِ تَعَالَىٰ؛ لَا يَتَعَلَّمُهُ وَلَا يَعْمَلُ بِهِ.

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ + , - . / 0 1 2 3 4 5 6 7 8 ﴾ [السجدة: ٢٢].

وَلَا فَرْقَ فِي جَمِيعِ هَذِهِ النَّوَاقِضِ بَينَ الْهَازِلِ وَالْجَادِّ والْخَائِفِ إِلَّا الْمُكْرَهَ، وَكُلُّهَا مِنْ أَعْظَمِ مَا يَكُونُ خَطَرًا، وَمِنْ أَكْثَرِ مَا يَكُونُ وُقُوعًا، فَيَنْبَغِي لِلمُسْلِمِ أَنْ يَحْذَرَهَا وَيَخَافَ مِنْهَا عَلَىٰ نَفْسِهِ.

نَعُوذُ بِاللهِ مِنْ مُوجِبَاتِ غَضَبِهِ وَأَلِيمِ عِقَابِهِ.

وَصَلَّىٰ الله عَلَىٰ خَيْرِ خَلْقِهِ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

التعليق على
نواقض الإســـلام

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

اعْلَمْ أَنَّ نَوَاقِضَ الإِسْلَامِ عَشَرَةُ نَوَاقِضَ:

الأَوَّلُ: الشِّرْكُ فِي عِبَادَةِ اللهِ تَعَالَىٰ.

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿ r s t u v w x y z { | } ~ ﴾ [النساء: ١١٦].

وَقَالَ تعالَىٰ: ﴿ J K L M N O P Q R S T V W X Y ﴾ [الْمَائدة: ٧٢].

وَمِنْهُ: الذَّبْحُ لِغَيْرِ اللهِ كَمَنْ يَذْبَحُ لِلجِنِّ أَو لِلقَبْرِ[١].

---

[١] إن من كتابات ومؤلفات شيخ الإسلام النافعة $نواقض الإسلام العشرة#؛ وإن مما ينبغي للمسلم ويتأكد عليه أن يتعلم هذه النواقض حتىٰ لا يقع في شيء منها وهو لا يشعر.

فأول وأهم تلك النواقض هو الشرك باللهT، والأدلة عليه كثيرة، منها قول اللهT: ﴿ r s t u v w x y z { | } ~ ﴾ [النساء:٤٨، ١١٦].

ومنها قولهT حكاية عن عيسىٰ u أنه قال: ﴿ C D E F G H I J K L M N O P Q R S T V W X Y ﴾ [المائدة:٧٢].

ومنها قوله I : ﴿ ¶ ¸ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَـٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾ [المؤمنون:١١٧].

إلىٰ غير ذلك من الآيات الدالة علىٰ أن المشرك لا يُقبل منه عمل صالح؛ ولا تُغفر له سيئة، حتىٰ ولو كان من أقرب الناس إلىٰ اللهT وأعظمهم جاهًا عنده وأعلاهم مقامًا عنده؛ فقد قال I : ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ © عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴾ [الزمر:٦٥].

وقال عن الأنبياء في سورة الأنعام -بعد أن ذكر عددًا منهم-: ﴿ w v x y z { | } ~ ¸ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [الأنعام:٨٨].

وعن أبي هريرة t قال: قال رسول اللهﷺ: **$قال الله -تبارك وتعالىٰ-: أنا أغنىٰ الشركاء عن الشرك؛ من عمل عملًا أشرك معي فيه غيري تركته وشركه#**(١).

فهذه الأدلة كلها تدل علىٰ أن من أشرك بالله شركًا أكبر يدعوه من دون الله لجلب النفع أو دفع الضرِّ -معتقدًا قدرته علىٰ ذلك-، فإنه حينئذ يكون قد خرج من الإسلام؛ ومن ذلك الذبح لغير اللهT ؛ لأن الله I يقول لنبيه: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى ©رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ ´ µ ¶ ﴾ [الأنعام:١٦٢-١٦٣].

فمن ذبح للجن أو للقبر، فإنه يعتبر قد أشرك شركًا أكبر، ويترتب عليه كفره بوحدانية اللهT كفرًا يخرجه عن الملة.

˜ õ õ õ ™

(١) أخرجه مسلم (٢٩٨٥).

الثَّانِي: مَنْ جَعَلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الله وَسَائِطَ يَدْعُوهُمْ وَيَسْأَلُهُمْ وَيَتَوَكَّلُ عَلَيهِمْ؛ كَفَرَ إِجْمَاعًا[١].

---

[١] الأدلة علىٰ هذا الناقض هي الأدلة علىٰ الناقض الأول، إذ إن هذا يُعتبر نوعًا من أنواع الشرك؛ والمشركون الذين بُعث فيهم رسول اللهﷺ كانوا يعتقدون انفراد الله بالربوبية، وأنه لا يُشاركه أحد في خلق الخلق ولا رزقهم ولا إماتتهم؛ وإنما كانوا يعبدون معبوداتهم يزعمون أنها وسائط بينهم وبين الله يطلبون منهم الشفاعة.

ولهذا، فقد جاء في آيات كثيرة إلزام المشركين بأن ما يفعلونه خطأ فاحش وكفر بقدرة اللهT واطِّلاعه وهيمنته: فإذا كانوا يعتقدون أن الله هو الخالق وأن الآلهة التي يدعونها لم تخلُق شيئًا، ولا تملك شيئًا لا لها ولا لهم، ومن ذلك قول اللهT بعد أن ذكر شيئًا من صفاته وكمالاته في سورة فاطر.

ثم قال: ﴿ J I H G F E D C B A @ Y X W V T S R Q P N M L K h g f e d c b a ` _ ^] \ [Z r q p o m l k j ﴾ [فاطر:١٣-١٤].

وقال في سورة الفرقان: ﴿ ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / 0 1 2 3 4 5 6 ﴾ [الفرقان:٣].

وقال في سورة سبأ: ﴿ قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِۖ لَا يَمۡلِكُونَ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا لَهُمۡ فِيهِمَا مِن شِرۡكٖ وَمَا لَهُۥ مِنۡهُم مِّن ظَهِيرٖ ﴾ [سبأ:٢٢].

إلىٰ غير ذلك من الآيات.

بل أخبر الله ﷻ في سورة الزمر بأنهم قالوا: ﴿` a b c d e
f g h i j k l m n o q r s t u v w
x﴾ [الزمر:١٣].

والآيات في هذا كثيرٌ؛ والمهم أن الذين اتخذوا من دون الله وسائط يطلبون منهم الشفاعة، ويدعونهم من دون الله ويتوكلون عليهم، فإنهم يُعتبرون بذلك كافرين كما خاتمة آية الزمر.

˜ õ õ õ ™

الثَّالِثُ: مَنْ لَمْ يُكَفِّرِ الْمُشْرِكِينَ أَو شَكَّ فِي كُفْرِهِمْ أَوْ صَحَّحَ مَذْهَبَهُمْ كَفَرَ[١].

---

[١] الله ﷻ قد سمىٰ المشركين كفارًا في غير ما آية؛ فمن ذلك: ﴿ z { | { ~ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أُوْلَٰٓئِكَ © شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ﴾ [البينة:٦].

ففي هذه الآية جمع الله أهل الكتاب والمشركين، وبين أنهم كفار وأن مأواهم جهنم.

وقال عن المشركين -علىٰ انفرادٍ-: ﴿ ~ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبْعَثُواْ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى © ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [التغابن:٧].

وقال عن اليهود: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ © وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰاْ وَقَدْ ´ µ ¶ ¸ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [النساء:١٦٠-١٦١].

وقال عن النصارىٰ: ﴿ 6 7 8 9 : ; < = > ? ﴾ [المائدة:٧٢].

إلىٰ غير ذلك من الآيات.

فمن لم يُكفِّرْ هؤلاء الكافرين، فإنه يكون قد كفر بخبر الله T عنهم أنهم كافرون؛ ولذلك يعتبر كافرًا من أجل ذلك.

~ õ õ õ ™

الرَّابِعُ: مَنِ اعتَقَدَ أَنَّ غَيْرَ هَدْي النَّبِيِّ ﷺ أَكْمَلُ مِنْ هَدْيِهِ، أَوْ أَنَّ حُكْمَ غَيْرِهِ أَحْسَنُ مِنْ حُكْمِهِ، كَالَّذِي يُفَضِّلُ حُكْمَ الطَّوَاغِيتِ عَلَىٰ حُكْمِهِ؛ فَهُو كَافِرٌ[١].

---

[١] من مُقتضيات الإيمان برسالة محمدﷺ: الإيمان بأن هديه أكمل هدي، وأن حكمه أحسن حكم.

قال تعالىٰ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة:٥٠].

الاستفهام في هذه الآية استفهام استنكاري؛ معناه: أنه لا أحد أحسن حكمًا من حكم الله تعالىٰ.

وقد قال النبيﷺ في مستهل خطبته التي كان يبدأُ بها: **$وأحسنُ هدي هدي محمدﷺ#**(١).

فإذا كان خير الهدي هديهﷺ، فإن الإيمان به يقتضي ذلك؛ أي: أن يعتقد المؤمن أن خير الهدي هديهﷺ؛ ومن لم يعتقد ذلك، بل اعتقد أن هدي غيره أحسن من هديه أو حكم غيره أفضل من حكمه؛ فإنه حينئذ قد كفر بما جاء بهﷺ.

فالذين يفضلون حكم الطواغيت علىٰ حكمه يُعتبرون كفارًا من أجل ذلك.

~ õ õ õ ™

---

(١) أخرجه البخاري (٦٠٩٨) عن عبد الله بن مسعود t موقوفًا.

الْخَامِسُ: مَنْ أَبْغَضَ شَيْئًا مِمَّا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ وَلَو عَمِلَ بِهِ كَفَرَ[١].

[١] فبغض ما جاء به الرسول ﷺ من الأحكام والشرائع يعتبر كفرًا؛ وإن الواجب علينا محبته ﷺ ومحبة كل ما جاء به؛ وأن نعتقد أن كل ما جاء به حكمًا أنه أفضل الأحكام؛ وإن كان خلقًا بأنه أفضل الأخلاق؛ وإن كان عبادة بأنه أفضل العبادات.

فبغض ما جاء به أو بغض بعض ما جاء به دليل علىٰ النفاق -والعياذ بالله-.

فمن وجد هذه الخليقة في نفسه، فعليه أن يعمل علىٰ إزالتها، فيدعو اللهT أن يُذهبها عنه، وأن يُبدِّله ببعضها حبًّا، وبالاستخفاف تعظيمًا، وبالكره لها رغبة إليها.

السَّادِسُ: مَنِ استَهْزَأَ بِشَيءٍ مِن دِينِ الرَّسُولِ أَوْ ثَوَابِ اللهِ أَوْ عِقَابِهِ كَفَرَ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿] \ [^ _ ` a b c d e f g ﴾ [التوبة:٦٥-٦٦][١].

---

[١] فالاستهزاء بدين الرسول ﷺ أو ثوابه أو عقابه كفر.

فمن استهزأ باللحية أو استهزأ بشيء من أحكام الدين، فإنه يعتبر قد كفر وخرج من الإسلام.

وقد جاء في الحديث: $أن بعض المنافقين قال حينما كانوا سائرين إلىٰ تبوك: ما رأينا مثل قُرَّائنا هؤلاء أرغب بطونًا ولا أكذب ألسنًا ولا أجبن عند اللقاء؛ يعنون رسول الله ﷺ وأصحابه القراء.

فأنزل الله هذه الآيات: ﴿ S T U V W X Y [\ ] ^ _ ` a b c d e f g ﴾ [التوبة:٦٥-٦٦]#[(١)].

وإن من أهل العصر من نسمع منه مثل هذه الكلمة أو أشد ولا يبالي، نسأل الله العفو والعافية.

~ õ õ õ ™

---

(١) انظر: المعجم الكبير، للطبراني (١٩/ ٨٥).

السَّابِعُ: السِّحْرُ: وَمِنْهُ الصَّرْفُ وَالعَطْفُ، فَمَنْ فَعَلَهُ أَوْ رَضِيَ بِهِ كَفَرَ.

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ : ; < = > ? @ A B C D ﴾ [البقرة: ١٠٢][١].

---

[١] لقد أخبر الله ﷻ أن السحر تعلُّمُه كفر، ويلزم من ذلك أن العمل به كفر.

والله ﷻ يقول: ﴿ ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / 0 1 2 3 4 5 6 7 8 : ; < = > ? @ A B C D E F G H I J K L M N O P Q R S T U V W X Y Z [\ ] ^ _ ` a b c d e f g h i j k l m n o p q r ﴾ [البقرة:١٠٢].

صريح هذه الآية يدل علىٰ أن تعلم السحر كفر، وأن العمل به كفر لقوله: ﴿ ( ) * + , - . / 0 1 ﴾؛ فدل هذا علىٰ أن تعليم الناس السحر يعتبر كفرًا.

وقال: ﴿ 2 3 4 5 6 7 8 9 : ; < = > ? @ A B C D ﴾.

فدل ذلك علىٰ أن تعلم السحر كفر.

وفي آخر الآية، قال -جل من قائل-: ﴿ _ ` a b c d e f g h ﴾.

أي: ليس له نصيب في الآخرة؛ بل هو من أهل النار، وممن يستحقون العذاب؛ فهذه الآية مصرحة بكفر من تعلم السحر أو عمل به، سواء كان سحره صرفًا أو عطفًا أو غير ذلك.

وقد ذهب جمهور العلماء إلىٰ أن السحر كفر؛ إلا أن الشافعي حُكيَ عنه تفصيل، فهو قال: $نقول للساحر: صف لنا سحرك#[١].

وأقول: إن القول بتكفير الساحر بدون تفصيل هذا هو الحق لما ذكر في الآية، ولما ورد أن حفصة ﵂ كانت لها جارية فسحرتها فأمرت بقتلها.

وفي حديث بجالة قال: $كتب عمر بن الخطاب t : أن اقتلوا كل ساحر وساحرة؛ قال: فقتلنا ثلاث سواحرَ#.

ومما دلت عليه الآثار أيضًا -بالإضافة إلىٰ الآية السابقة- أن السحر لا يستطيع أن يفعله إلا كافر.

ومن ذلك الأثر الذي رواه ابن كثير في تفسيره عن عائشة ﵂؛ قالت: $قدمت عليَّ امرأةٌ من أهل دومة الجندل، جاءت تبتغي رسول الله ﷺ بعد موته، حداثة ذلك تسأله أشياء دخلت فيه من أمر السحر ولم تعمل به#.

---

(١) ونص كلام الإمام الشافعي هو: $والسحر اسم جامع لمعانٍ مختلفة؛ فيقال للساحر: صِف السحر الذي تسحر به؛ فإن كان ما يسحر به كلام كفر صريح استتيب منه، فإن تاب وإلا قتل وأخذ ماله فيئًا.

وإن كان ما يسحر به كلامًا لا يكون كفرًا معروفًا ولم يضر به أحدًا نُهيَ عنه؛ فإن عاد عُزِّرَ#. الأم (١/ ٢٥٦).

وقالت عائشة ﵂ لعروة: $يا ابن أُختي: فرأيتها تبكي حين لم تجد رسول الله ﷺ، فيشفيها، فكانت تبكي حتىٰ إني لأرحمها، وتقول: إني أخاف أن أكون قد هلكت: كان لي زوج فغاب عني، فدخلت عليَّ عجوز، فشكوت ذلك إليها، فقالت: إن فعلت ما آمرك به فأجعله يأتيك، فلما كان الليل جاءتني بكلبين أسودين، فَرَكِبَتْ أحدَهما وركِبتُ الآخرَ؛ فلم يكن شيء حتىٰ وقفنا ببابل؛ وإذا برجلين معلقين بأرجلهما، فقالا: ما جاء بك؟

قلت: نتعلم السحر!

فقالا: إنما نحن فتنة، فلا تكفري! فارجعي!

فأبيت، وقلت: لا!

قالا: فاذهبي إلىٰ ذلك التنور فبولي فيه.

فذهبت، ففزعت ولم أفعل، فرجعت إليهما.

فقالا: أفعلت؟

فقلت: نعم!

فقالا: هل رأيت شيئًا؟

فقلت: لم أر شيئًا!

فقالا: لم تفعلي! ارجعي إلىٰ بلادك ولا تكفري!

فأُربيتُ وأبيتُ.

فقالا: اذهبي إلىٰ ذلك التنور فبولي فيه.

فذهبت، فاقشعررت وخفت؛ ثم رجعت إليهما وقلت: قد فعلت!

فقالا: فما رأيت؟

فقلت: لم أرَ شيئًا!

فقالا: كذبت، لم تفعلي، ارجعي إلىٰ بلادك ولا تكفري، فإنك علىٰ رأس أمرك!

فأُربيتُ وأبيتُ.

فقالا: اذهبي إلىٰ التنور فبولي فيه.

فذهبت إليه فبلتُ فيه؛ فرأيت فارسًا مقنعًا بحديد خرج مني، فذهبت إلىٰ السماء، وغاب حتىٰ ما أراه؛ فجئتهما.

فقلت: قد فعلت!

فقالا: فما رأيت؟

قلت: رأيت فارسًا مقنعًا خرج مني، فذهب إلىٰ السماء، وغاب حتىٰ ما أراه.

فقالا: صدقت: ذلك إيمانك خرج منك! اذهبي!

فقلت للمرأة: والله، ما أعلم شيئًا، وما قالا لي شيئًا!

فقالت: بلىٰ، لم تريدي شيئًا إلا كان، خذي هذا القمح، فابذري!

فبذرت وقلت: اطلعي، فطلع.

وقلت: احقلي فأحقلت.

ثم قلت: افركي فأفركت.

ثم قلت: ايبسي، فأيبست.

ثم قلت: اطحني، فأطحنت.

ثم قلت: اخبزي، فأخبزت.

فلما رأيت أني لا أريد شيئًا إلا كان، سُقِطَ في يدي، وندمت -والله يا أم المؤمنين- ما فعلت شيئًا ولا أفعله أبدًا#.

ورواه ابن أبي حاتم عن الربيع بن سليمان به مطولًا كما تقدم، وزاد بعد قولها: $ولا أفعله أبدًا#: $فسألت أصحاب رسول اللهﷺ حداثة وفاة رسول اللهﷺ -وهم يومئذ متوافرون- فما دروا ما يقولون لها، وكلهم هاب وخاف أن يُفتيها بما لا يعلمه إلا أنه قد قال لها ابن عباس أو بعض من كان عنده: لو كان أبواك حيين أو أحدهما#.

ومما يدل علىٰ أنه لا يستطيع السحر إلا كافر: الشياطين التي تكون بالسحرة في المسحورة تقول: $إن فلانًا الذي أمرنا، نحن لا نستطيع الخروج منه#.

ويصفون الشياطين حينما يعلمونه السحر بأنهم يشترطون عليه أن يدخل بالمصحف الحمام، يبول عليه وينتعل به أربعين يومًا؛ فهذا كله يدل علىٰ أن الساحر لا يستطيع السحر إلا بعد أن يكفر.

ومن هنا نقول: إن السحر كفر كله، وإنه يجب قتل الساحر حدًّا؛ والظاهر أن هذا حتىٰ لو أنه أظهر التوبة.

علمًا بأن السحر ينقسم إلىٰ قسمين:

١ - سحر تأثير.

٢ - سحر تخييل.

فأما سحر التأثير؛ فهو الذي يحصل به للمسحور تخيلات وأشياء، ويتأثر به حتىٰ لا يكاد يستقر له قرار؛ وربما إنه تأتي عليه سنوات وهو ما طعم لذة الراحة، ولا نعمة العقل؛ ولو ذهب به إلىٰ المستشفىٰ وكشفوا عليه كشفًا طبيًّا لقرروا بأنه ليس فيه شيء.

ومن هذا ما ورد أن النبي ﷺ سحر، عن عائشة رضي الله عنها: $قالت: سُحر النبي ﷺ حتىٰ إنه ليخيل إليه أنه يفعل الشيء وما فعله؛ حتىٰ إذا كان ذات يوم -وهو عندي- دعا الله دعاء، ثم قال: **أشعرت يا عائشة أن الله قد أفتاني فيما استفتيته فيه؟**

قلت: وما ذاك يا رسول الله؟

قال: **جاءني رجلان؛ فجلس أحدهما عند رأسي، والآخر عند رجلي؛ ثم قال أحدهما لصاحبه: ما وجع الرجل؟**

قال: مطبوب.

قال: ومن طبه؟

قال: لبيد بن الأعصم اليهودي من بني زريق.

قال: في ماذا؟

قال: في مشط ومشاطة وجف طلع نخل ذكر.

قال: فأين هم؟

قال: في بئر ذي أروان.

قال: فذهب النبي ﷺ في أُناس من أصحابه إلىٰ البئر، فنظر إليها وعليها نخل؛ ثم رجع إلىٰ عائشة، فقال: **والله لكأن ماءها نقاعة الحناء، ولكأن نخلها رءوس الشياطين.**

قلت: يا رسول الله، أفأخرجته؟

قال: **لا، أما أنا فقد عافاني الله وشفاني، وخشيت أن أُثير علىٰ المسلمين منه شرًّا#**[1].

---

(١) أخرجه البخاري (٥٧٦٦)، ومسلم (٢١٨٩).

أما سحر التخييل: فهو ما ذكره اللهT عن السحرة الذين كانوا مع فرعون؛ قال -عز من قائل-: ﴿فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ سَحَرُوٓاْ ´ µ ¶ ، بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾ [الأعراف:١١٦].

وقال تعالىٰ: ﴿ - . / 1 2 3 4 5 6 7 8 9﴾ [طه:٦٦].

~ õ õ õ ™

الثَّامِنُ: مُظَاهَرَةُ الْمُشْرِكِينَ وَمُعَاوَنَتُهُمْ عَلَىٰ الْمُسْلِمِينَ.

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ / 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 : ﴾ [الْمَائدة:٥١][١].

---

[١] من أعان المشركين والكافرين واليهود والنصارىٰ علىٰ المسلمين، فهذا يعدُّ كافرًا، وعمله كفر؛ لأن مظاهرة المشركين علىٰ المسلمين دليل علىٰ توليهم دون المسلمين؛ والتولي دليل علىٰ محبة ملتهم الكفرية، وإيثارها علىٰ الإسلام؛ ولا شك أن هذا كفر موجب للخروج من الملة -والعياذ بالله-، وليس المراد بتولي المشركين والكفار التعاون معهم علىٰ شيء محرم مما حرمه الإسلام ومنعه؛ وقد كتبت في هذا الموضوع فتوىٰ فيها شيء من التفصيل.

ذلك أن بعض الناس جعل التعاون مع أقوام من الكفار علىٰ منع الإرهاب الذي حرمه الله ورسوله، جعلوا ذلك كفرًا وارتدادًا؛ والحق الذي يجب المصير إليه أنه إذا عرضت علينا فئة من فئات الكفر أن نتعاون معها وتتعاون معنا علىٰ محاربة شيء مما يمنعه الإسلام، ويأمر بمحاربته ومنعه، فإن لنا أن نفعل ذلك.

فلو عرضُ علينا منع الزنا مثلاً ، أو محاربة الإرهاب مثلاً ، الذي هو التفجيرات التي يقوم بها بعض الناس من المسلمين، ويزعمون أن ذلك عبادة، قلنا: نتعاون معهم علىٰ ذلك.

لكن؛ إذا عرضت علينا فئة من فئات الكفار أن نحارب الحجاب الذي أمر الله به، أو اللحىٰ التي أمر الله بإعفائها، أو أي شيء من مظاهر الإسلام، أو طلبت منَّا هذه الفئة أن نتعاون معها علىٰ المسلمين؛ فهذا لا شك فيه أنه لا يجوز لنا، بل من فعله وتعاون معهم فيه، وظاهرهم عليه، فإنه يُعدُّ متوليًا لأهل الكفر ومتظاهرًا معهم علىٰ أهل الإسلام؛ وهذا نوع من أنواع الردة.

التَّاسِعُ: مَنِ اعْتَقَدَ أَنَّ بَعْضَ النَّاسِ يَسَعُهُ الخُرُوجُ عَنْ شَرِيعَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ كَمَا وَسِعَ الْخَضِرَ الْخُرُوجُ عَنْ شَرِيعَةِ مُوسَىٰ u فَهُوَ كَافِرٌ[١].

[١] إن شريعة محمدﷺ شريعة عامة لجميع أهل الأرض -إنسهم وجنهم-؛ قال تعالىٰ: ﴿ r s t u v w x y ﴾ [الأعراف:١٥٨].

والنبيﷺ قال: **$أعطيت خمسًا لم يُعطهنَّ أحد قبلي؛ ومنها: وكان النبي يُبعث إلىٰ قومه خاصة؛ وبعثت إلىٰ الناس جميعًا#**[(١)].

فربما أن بعض الجهال يعتقد جواز الخروج عن شريعة محمدﷺ كما حصل للخضر الخروج عن شريعة موسىٰﷺ، فهذا يدل علىٰ جهله بعموم بعثة محمدﷺ وشرعته، وأنه لا يخرج عنها أحد أبدًا؛ وأن من تبعه وقبل ما جاء به نجا؛ ومن ادعىٰ الخروج عن شريعته، وزعم أن ذلك جائز له كبعض غلاة المتصوفة، فإن ذلك يعد كفرًا وردة عن شريعته -صلوات الله وسلامه عليه-.

~ õ õ õ ™

(١) أخرجه البخاري (٣٣٥)، ومسلم (٥٢١).

العَاشِرُ: الإعْرَاضُ عَنْ دِينِ اللهِ تَعَالَىٰ؛ لَا يَتَعَلَّمُهُ وَلَا يَعْمَلُ بِهِ.

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ + , - . / 0 1 2 3 4 5 6 7 8 ﴾ [السجدة: ٢٢][١].

---

[١] إن الإعراض عن دين الله وعدم تعلمه والعمل به حتىٰ ولو عرض عليه؛ كترك شهادة (أن لا إله إلا الله)؛ أو قولها باللسان وعدم تعلم معناها مع الإتيان بمناقضته لها، فإذا دُعيَ إلىٰ أن يتعلم معنىٰ (لا إله إلا الله) حتىٰ لا يقع فيما يُناقضها أبىٰ وأعرض واستكبر وهو مع ذلك واقع فيما يناقضها، كعبادة الأولياء والإتيان إلىٰ السحرة والمنجمين، أو الطواف بالقبور وسوق النذر لها، أو يمتنع عن أداء الصلاة التي أمر الله بها -فهي عمود الإسلام-؛ فهذا الإعراض عن أصول الدين التي لا يكون الإنسان مسلمًا إلا بقبولها والإتيان بها، وتعلمها والعمل بها.

فمن أعرض عن هذه الأصول والقواعد وأبىٰ أن يقبلها، وأبىٰ أن يتعلمها، وأبىٰ أن يعمل بها، فإنه يكون كافرًا كفرَ إعراض.

وقد قسم الكفر إلىٰ أربعة أقسام:

- كفر الإعراض.
- كفر التكذيب، ككفر كفار قريش.
- كفر العناد، ككفر إبليس.
- كفر فرعون وقومه؛ قال تعالىٰ: ﴿ ! " # $ % & ﴾ [النمل:١٤].

- وكفر الشرك بالله، بأن يعتقد لله شريكًا، أو يعتقد بأن الأولياء لهم مقام عند الله، فيتخذهم وسائط ويعبدهم من أجل ذلك.

- أما النفاق الاعتقادي، فيمكن أن يُعدَّ نوعًا خامسًا؛ ويمكن أن يُقال: إنه داخل في كفر التكذيب، لكنهم أظهروا التصديق وأبطنوا التكذيب.

وقد عدَّ أنواع الكفر أربعًا كل من:

الصنعاني في العدة.

والشيخ حافظ حكمي في قصيدته الدالية الجوهرة الفريدة.

وعدَّه شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب خمسة؛ ولكن الخامس يمكن أن يكون داخلا ً في التكذيب كما قلت؛ هذا الذي يظهر لي.

˜ õ õ õ ™

وَلَا فَرْقَ فِي جَمِيعِ هَذِهِ النَّوَاقِضِ بَينَ الْهَازِلِ وَالْجَادِّ والْخَائِفِ إِلَّا الْمُكْرَهَ، وَكُلُّهَا مِنْ أَعْظَمِ مَا يَكُونُ خَطَرًا، وَمِنْ أَكْثَرِ مَا يَكُونُ وُقُوعًا، فَيَنْبَغِي لِلمُسْلِمِ أَنْ يَحْذَرَهَا وَيَخَافَ مِنْهَا عَلَىٰ نَفْسِهِ.

نَعُوذُ بِاللهِ مِنْ مُوجِبَاتِ غَضَبِهِ وَأَلِيمِ عِقَابِهِ.

وَصَلَّىٰ اللهُ عَلَىٰ خَيْرِ خَلْقِهِ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ[١].

---

[١] هذه الخاتمة التي أوصىٰ بها : بأن يحذَر الإنسان المسلم من الوقوع في شيء من هذه النواقض؛ بأن يقوله أو يفعله جادًّا، أو هازلًا؛ إذ إن من قال شيئًا من هذه النواقض علىٰ سبيل الهزل يدل فعله علىٰ الاستخفاف بالشريعة، والتجرؤ علىٰ ما يناقضها، فلا يجوز لمسلم أن يقول شيئًا من الأقوال الشركية علىٰ سبيل الهزل، أو يستهزئ بشيء من دين الرسولﷺ، أو ثوابه، أو عقابه علىٰ سبيل الهزل؛ وكذلك في جميع النواقض: لا يجوز لأحد أن يستخف بذلك ويعمل شيئًا منه، فإن ذلك -مثل ما يُقال-: (لعب بالنار)؛ أي: لعظم خطورته، وكبر جنحه وإثمه، فالحذرَ الحذرَ.

أما المُكره فقد ورد فيه نص في كتاب الله حين كان عمار بن ياسر تحت العذاب وما زالوا به حتىٰ ذكر آلهتهم بخير؛ فجاء إلىٰ النبيﷺ وقال الصحابة: كفر عمارُ، فقال النبيﷺ: $**ما كفر عمار، إن عمارًا ملئ إيمانًا من أخمصه إلىٰ مشاشه**؛ فأنزل الله -عز وعلا- الآية في سورة النحل: ﴿V U T S X W﴾ [النحل:١٠٦]. الآية#.

وقول الشيخ: $**والخائف**#؛ يعني: أن الخائف مجرد خوف لا يباح له، ولا يعد مكرهًا إلا إذا أحس بعذاب أو هدد بالقتل، أو ما أشبه ذلك.

لكن؛ هناك مسألة ينبغي التنبيه عليها، وهي: هل الإكراه يكون عذرًا في القول والفعل أو في القول فقط؟

هذا محل نظر؛ إذ إن عمار بن ياسر ما سجد لآلهتهم ولا طاف بها، ولا ذبح لها؛ ولكن قال بلسانه قولًا؛ فهل الفعل يكون مثل ذلك؟

مَن طُلب منه أن يسجد لصنم أو يفعل شيئًا من الأفعال التي تعد شركًا أكبرَ: فهل يجوز له ذلك ترخصًا بفعل عمار الذي نزلت فيه الآية؟

فعل عمار الذي حصل منه، إنما هو بالقول؛ وحديث: $**دخل الجنة رجل في ذباب، ودخل النار رجل في ذباب**#[1].

إن صح، فهو دليل علىٰ التفريق بين القول والفعل إذ إن الآخر الذي قرب ذبابًا يحتمل أن يكون مكرهًا؛ ويحتمل أنه يعتقد جواز ذلك.

فإن كان يعتقد جواز ذلك، فإنه دخل النار بسبب اعتقاده، وإن كان مكرهًا، فإنه يكون كل ما قدمه المسلم لغير الله-وإن كان قليلاً كالذباب أو كبيرًا كالجمل- فإنه يعتبر بذلك قد خرج من الإسلام واستحق النار، لأن الإكراه إنما يكون في القول دون الفعل؛ وبالله التوفيق.

وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلم.

˜ õ õ õ ™

(١) أخرجه أحمد في $الزهد# (ص١٥-١٦)، وأبو نعيم في $الحلية# (١/٢٠٣) موقوفًا علىٰ سلمان الفارسي t ، وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة (٥٨٢٩).

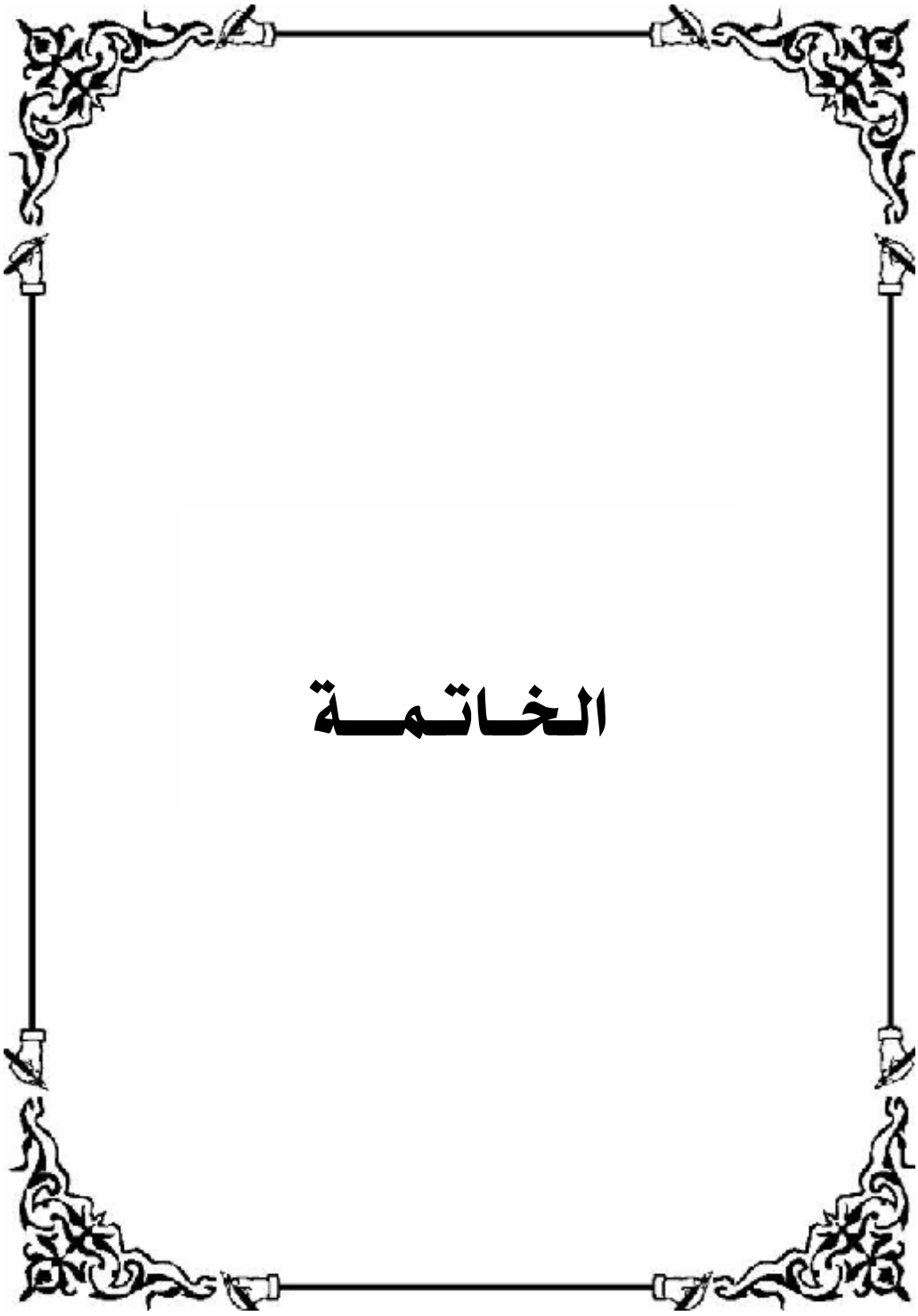

الخـاتـمـــة

الخـاتمـــة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، ونصلي ونسلم علىٰ خير داعٍ إلىٰ الطاعات، وبشيرٍ من ربه بالجنات، وعلىٰ آله وأتباعه بإحسانٍ علىٰ نهج الرسل بالهدىٰ والبينات، ومن تبعهم علىٰ الحق إلىٰ يوم وزن الحسنات والسيئات.

وبعد:

فهانحن وصلنا معكم -أيها الإخوة القراء من المؤمنين والمؤمنات- إلىٰ نهاية المطاف والحديث عما بيَّن ووضَّح فيه شيخنا عما يحويه هذه المتون العظيمة من متون شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب : من العبارات الغامضات، والجمل المشتبهات؛ فقد أحسن شيخنا فيه وأفاد، فجزاه الله خيرًا، وأجزل الله له العطايا والمكرمات من ربٍّ كريم واسعِ الفضل وغافر الزلات، وجعلنا وإياكم وسائر المسلمين من أهل الفوز برضوانه والعتق من نيرانه يوم يقوم الأشهاد.

وإنْ كان لي من كلمةٍ في هذه الخاتمة أرجو بها النجاةَ يوم القيامة؛ فهي أنَّ أيَّ عمل بشري قد يصيب فيه صاحبه وقد يخطئ، وكلنا ذاك الرجل الذي يعتريه من القصور والنقص ما يعتريه، فإن وجدتم -إخواني القراء الكرام- في هذا السفر الصغير من خطأٍ فنبهونا عليه بأسلوب حسنٍ يظهر منه حسن القصد منه الخير والصلاح، وإن وجدتم فيه من الصواب فادعو لشيخنا أحمد بن يحيىٰ النجمي ولي بالتوفيق والسداد ولسائر المسلمين.

ثم أقول ثانيًا: إنَّ علىٰ كل طالب علم أن يغتنم فرصة وجود علماء السنة بالقرب منه، وعليه أن يحرص علىٰ الاستفادة منهم في أمر دينه قبل أن تُوارىٰ أجسادُهم تحت التراب فلا يبقىٰ بعد ذلك إلَّا ما ورَّثه العالم من كُتُبِهِ، وما تركه في الناس من الأسوة والقدوة الصالحة.

فاحرصوا -يا من تسمعون بهذا الشيخ الجليل أو تعرفتم عليه أو سكنتم بجواره- أن تجلسوا في مجالسه، وتُثنوا الرُّكَبَ للأخذ عنه بقدر الجهد والطاقة.

واحذروا كل الحذر أن تفتح عليكم الدنيا فتهلِكَكُم كما أهلكت مَن قبلكم.

واحذروا كل الحذر من أن يجتاحكم أهل الضلال فتنقادوا لهم فتكونوا بعد ذلك من النادمين، فارعو نِعَمَ الله عليكم، واشكروا ربكم علىٰ ذلك.

نسأل الله أن يُحسن عاقبتنا في الأمور كلها، وأن يُجيرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة.

وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه.

حرَّرها

حسن بن محمد بن منصور دغريري

غرَّة شهر شوال (٦/١٠/١٤٢١هـ)

الفهـــرس

ترجمة شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب للشيخ عبد العزيز بن باز : ٥
ترجمة العلامة أحمد بن يحيىٰ النجمي بقلم تلميذه الشيخ محمد بن هادي... ٢٨
متن الأصول الثلاثة ٣٩
التعليق علىٰ الأصول الثلاثة ٥١
متن الأصول الستة ١١٣
التعليق علىٰ الأصول الستة ١١٩
متن القواعد الأربعة ١٥٣
التعليق علىٰ القواعد الأربعة.....١٥٩
متن نواقض الإسلام.....١٧٧
التعليق علىٰ نواقض الإسلام ١٨١
الخاتمة ٢٠٥
الفهرس.....٢٠٧

~ õ õ õ ™